

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

قضت حكمة الله تعالى أن تكون حياة البشر أطواراً ، ينتقلون فيها من طور إلى طور، ومن مرحلة إلى مرحلة، قال تعالى: **ثُمَّ تَدُورُ** ^١، وتبدأ تلك الأطوار بالضعف الذي يعقبه طور القوة والبناء ، والجلد والسعي ، لينتهي إلى طور الضعف والشيبة وهكذا، قال الله تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) ^٢.

ويرى ابن خلدون ^٣ « أن هذه الأطوار ضرورية للدول» حيث تمر الدول بنفس الأطوار التي يمر بها البشر في حياتهم ، فتتدرج بين طور النشأة والتأسيس ثم تمر في أطوار التشييد والبناء والتطور والقوة، حتى تصل إلى طور الضعف والتخلخل والانهيار. قال تعالى: (قل اللهم مالك الملك يؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) ^٤.

وتحقيقاً لهذه السنة الإلهية العظيمة دبّ الوهن والضعف في جسد الخلافة الأموية بالمشرق، التي بدأت أول أطوارها على يدي الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - في سنة ٤١هـ/٦٦١م ثم سلكت أطواراً متتابعة حتى وصلت إلى شيخوختها وضعفها في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، لنتهار تماماً وتسقط في عام ١٣٢هـ/٧٤٩م تحت ضربات جيوش العباسيين التي انتصرت على ولاة الأمويين بالمشرق، ثم تقدمت في العام نفسه باتجاه بلاد العراق وبلاد الشام لتصل إلى نهر الزاب ^٥ فيهزم جيب بن أمية ويفر الخليفة إلى مصر حيث يتبعه العباسيون فيقتل في قرية بوسير ^٦ من قرى مصر ^٧. وبذلك انتهت

(١) نوح ، آية ١٤ .

(٢) الروم، آية ٥٤ .

(٣) مقدمة ابن خلدون، ضبط خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار، ط١ (بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)

ص ٢١٥ .

(٤) آل عمران، آية ٢٦ .

(٥) نهر الزاب : هو نهر بأرض الجزيرة ، يعرف بالزاب الأصغر، يجري بالقرب من الموصل (ابن كثير: البداية والنهاية ، ج٥، تحقيق : أحمد أبو ملح ورفقاه، ط١ (القاهرة دار البيان ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص ٤٤-٤٥ . الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس ، ط٢ (بيروت ، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص ٢٨١).

(٦) خليفة بن خياط: المصدر نفسه، ص ٤٠٣، المسعودي: مروج الذهب ج٢، ط٥ (بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣م، ص ٢٤٥-٢٤٦ .

(٧) بوسير : قرية تعرف باسم قرية قوريدس: تقع في صعيد مصر بكورة البوصيرية (الحموي: معجم البلدان، ج١، بيروت ، دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص ٥٠٩ .

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

خلافة بني أمية في المشرق الإسلامي لتقوم على أنقاضها الخلافة العباسية (١٣٢هـ - ٦٥٦هـ/٧٤٩ - ١٢٥٨م) التي قام خلفاؤها الأوائل بحملة مطاردة واسعة النطاق لتتبع بقايا أفراد البيت الأموي في كل مكان للقضاء عليهم، واستئصالهم^(١).

وكما أمعن العباسيون في البحث عن أفراد البيت الأموي، اجتهد الناجون من مذابح العباسيين وأتباعهم من بني أمية في التخفي والهرب، والنجاة بأنفسهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. وكان عبدالرحمن بن معاوية بن هاشم بن عبدالملك^(٢) أحد الناجين من بطش العباسيين، حيث استطاع أن يفر مستخفياً مع أحد مواليه ويتجه إلى بلاد المغرب الإسلامي، ليستقر به المقام بعد رحلة شاقة وطويلة - تعرض فيها للأهوال والمخاطر مرات عديدة - في منازل أخواله بني نفزه^(٣) بالقرب من مدينة في مناطق جنوب المغرب^(٤).

لقد كان عبدالرحمن بن معاوية حينما فر من المشرق طالب ملك أكثر منه طالب نجاة. فما أن استقر به المقام في بلاد المغرب الأقصى حتى رنا ببصره قبالة الأندلس يتحسس أخبارها، ويستطلع أبناءها. إذ بلغه ما كان عليه الحال في الأندلس، وما تشهده من اضطراب وعدم استقرار، بسبب الفتن والعصبيات القبلية الناشئة بين القبائل العربية هناك، من شامية ويمانية من ناحية، وبينها وبين البربر من ناحية أخرى.

عول الأمير عبدالرحمن الداخل على الأندلس كثيراً في إعادة ملك آبائه المندثر، وعزز هذا العزم في نفسه أمور منها :

(١) ابن خلكان: المصدر نفسه، ص ٤٠٩-٤١٠.

(٢) هو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان، يكنى أبا المطرف مولده بالشام سنة ثلاث عشرة ومائة للهجرة، وأمه أم ولد اسمها راح كان من أهل العلم، وعلى سيرة جميلة من العدل، وهو أديب وشاعر وسياسي بارع، وقائد عسكري موفق، أحيا الدولة الأموية بالأندلس في سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م وظل يحكم تلك البلاد إلى وفاته في سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م. انظر: ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ج١، نشر وتصحيح السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، (مصر، مطبعة المدني ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص ١١. ابن حزم: رسائل ابن حزم، "رسالة في ذكر الأمراء وأيامهم بالأندلس" ج٢ تحقيق: احسان عباس، ط بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م، ص ١٩١.

(٣) نفزة: أحد قبائل البربر البتر، وينسبون إلى نفراد بن لؤي الكبير، وكانت مساكنهم في مناطق المغرب الأقصى(انظر: ابن الأبار: الحلة السيرة، ج١، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م، ص ٣٥. ابن حيان: المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: محمود مكي، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٩٠هـ/١٩٧١م، ص ٢٧٩ حاشية ١٣٣).

(٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق، عبدالله أنيس الطباع، ط١ (بيروت، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ/١٩٨٤م) ص ٨٤.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

- ما علمه من أحوال البلاد وحاجتها الماسة إلى زعامة قوية توحد شتاتها ، وتجمع عناصر سكانها في منظومة اجتماعية واحدة^١. إلى جانب بعدها عن سطوة العباسيين وكون البحار تفصلها عن بقية المناطق التي خضعت لحكمهم.

- وهناك أمر آخر في غاية الأهمية ألا وهو وجود فئة اجتماعية كبيرة في الأندلس لا زالت على ولائها لبني أمية، وهم من عرفوا بسام " المولى الأموية" أو "موالي بني أمية"^٢.

ويظهر من استخلاص الروايات حول وضع موالي بني أمية في الأندلس أنه كان هناك شبه تنافس بين الوالي يوسف الفهري ومساعد الصميل بن حاتم حول كسب ولاء موالي بني أمية، ففي حين كان الفهري يرى أنه وريث دولة بني أمية بعد سقوطها في كل ما كان للأمويين في الأندلس بما في ذلك الموالي الأمويين الذين كان يسميهم "موالينا"^٣ ويرتب سلطانه على ذلك الأساس، ولا يشك في إخلاصهم ووفائهم له^٤، كان الصميل بن حاتم بدوره يسعى لكسب تأييد هؤلاء الموالي وضمهم إلى صفه للإفادة منهم^٥.

في الوقت نفسه يظهر أن هؤلاء الموالي لم يكونوا مقرين بالتبعية لأي من الرجلين، وأنهم كانوا يجدون في البحث عن زعيم خاص بهم يلتمّ شعثهم، ويوحد صفهم، ويرفع عنهم سلطان غيره من متنفذي الأندلس^٦. وهذا يوحي بأنه كان لديهم بعض القوة التي يستطيعون بها حماية أنفسهم، وتحقيق سلطانهم، وإن لم تكن بالقدر الكافي، ولذلك لجأوا بعد ذلك إلى التحالف مع اليمانيين.

(١) ابن الخطيب : الاحاطه في أخبار غرناطة، ج١، تحقيق : محمد عبدالله عنان، ط٢، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص ٤٤٤-٤٤٥.

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٥.

(٣) مجهول: أخبار مجموعة : تحقيق محمد زينهم، ط١ (القاهرة، دار الفرجاني ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص ٨٧.

(٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٥.

(٥) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ط٢ (جده)، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٦٦٦.

(٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٥. ابن الخطيب : الاحاطة، ج١، ص ٤٤٥.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

لم تكن القبائل اليمينية وموالي بني أمية هما فقط غير الراضين رأسه يوسف الفهري والصميل بن حاتم على الأندلس ، ولا منشوحة من أوضاع البلاد، بل كان يشاركها في ذلك فنام أخرى من عناصر المجتمع الأندلسي في حينها مثل بعض القبائل الشامية^(١).

لقد أدرك ابن معاوية وهو يقبع في بلاد البربر بالمغرب حقيقة الأوضاع في الأندلس ، وعرف حدة الصراع الدائر بين المتنفيين وأعاونهم في سبيل السيطرة عليها. وكانت عيونه تصل إليه بتلك الأخبار المؤكدة، وعلى ذلك فقد رأى الأندلس أنسب موقع يمكن أن يبني فيه مجده ويعيد فيه سلطان آباءه وأجداده المندثر في المشرق.

اكتملت صورة أوضاع الأندلس الداخلية لدى عبدالرحمن بن معاوية الذي ظل يجمع المعلومات حولها منذ عام ١٣٦هـ/٧٥٣م^(٢). أي على مدى ما يقرب من سنتين من الزمان. وعلى ذلك الأساس وضع ابن معاوية مخطط حكم الأندلس في مخيلته. ولم يتبق سوى وجوب إنزال ذلك المخطط على أرض الواقع ، ولكن قبل ذلك كان لا بد من التثبيت التام ومعرفة ضخامة أو ضعف القوة التي تدافع عن الأندلس ، إلى جانب معرفة مدى التأييد الذي لا زال الأمويون يتمتعون به داخل الأندلس ومدى استعداد الموالى الأمويين للقيام مع ابن معاوية ونصرته، والسعي معه لتحقيق مآربه في الأندلس.

وعلى أثر ذلك ابتعث ابن معاوية مولاة بدرأ في أواخر عام ١٣٦هـ/٧٥٣م^(٣) وكلفه الشخصوص إلى الأندلس للتحقق من كل ما وصله من معلومات عن الأندلس ، وحمله رسالة من قبله إلى زعماء الموالى الأموية هناك " يشكو فيه ما ابتلوا به، ويعظم عليهم حقه ونزوعه إليهم .. ويعلمهم أنه إن دخل إلى يوسف لم يأمنه أنه إنما يريد الاعتزاز بهم وأن يمنعوه ، وإن تهيأ لهم ما فيه طلب سلطان الأندلس أن يعلموه^(٤) ".

(١) ابن خلدون: العبر (المنشور تحت عنوان تاريخ ابن خلدون) ج ٤، ضبط: خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، ط ١ (بيروت، دار الفكر ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ١٥٥.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج٢، تحقيق : ج. س. كولان. مراجعة: ليفي بروفنسال ط ٣ ، (بيروت: دار الثقافة ، ١٩٨٣م) ، ص ٤١.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ٤١.

(٤) ابن مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٥.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

اجتمع بدر بثلاثة من رؤساء الموالي الأموية بالأندلس وعرض عليهم الرسالة وبين لهم حقيقة وضع ابن معاوية وما يرغب إليه ، فاستحسنوا الدعوة، وبادروا من وقتهم في التخطيط لاستقبال ابن معاوية والتمكين له في الأندلس^٧.

كان أمام هؤلاء الزعماء قوتان يمكن أن يستفاد منهم في نصرة ابن معاوية، أما القوة الأولى فهي قوة الموالي الأموية الذين يكثرون في مناطق جنوب الأندلس^٨. وهؤلاء ولائهم شبه مضمون، لبني أمية ولن يخرجوا عن طاعة قادتهم الساعين لذلك الأمر^٩ والقوة الأخرى هي قوة القبائل اليمانية الكسيرة الجناح والمهزومة أمام القبائل الشامية، والتي تتحين الفرصة للأخذ بثأرها من الشاميين وبما أن قوة الموالي الأموية المضمونة الولاء لابن معاوية لن تستطيع بمفردها أن تحقق الأمان والنصر له على قوة يوسف الفهري والسميل بن حاتم. لذا بادر زعماء الموالي - بعد أن يأسوا من نصرة الصميل بن حاتم^{١٠} - إلى دعوة القبائل اليمانية إلى نصرة ابن معاوية ، وعرضا الأمر على بعض زعمائها ، فوجدوا (قوماً قد وغرت صدورهم يتمنون شيئاً يجدون به سبيلاً إلى طلب ثأرهم، ورغبوا في عقد بني أمية بالأندلس"^{١١}).

أطبقت اليمانية والموالي الأموية في الأندلس على نصرة ابن معاوية ، وتعاهدوا على ذلك بحضور بدر مبعوث الأمير الأموي ، ومن ثم بعثوا إلى ابن معاوية في مقره بالمغرب وفدأ من رؤسائهم بصحبة بدر للترحيب بابن معاوية، وإبلاغه بما تم الاتفاق عليه، ودعوته للشخص إلى الأندلس^{١٢}.

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٨٤-٨٥.

(٢) مصطفى أبو ضيف : القبائل العربية في الأندلس (الدار البيضاء ، دار النشر المغربية، د.ت) ص ١٢١-١٢٣.

(٣) أمثال أبو عثمان عبدالله بن عثمان وعبدالله بن خالد وغيرهم.(انظر: ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٤). ابن عذارى: المصدر نفسه ، ج٢، ص ٤٥.

(٤) كانوا قد عرضوا الأمر على الصميل بن حاتم طمعاً في نصرته وتأييده، لما عرفوا عنه من ميل وموالاة لموالي بني أمية، وكان قد وافق على ذلك في بداية الأمر ثم نكص عن الموافقة وقال "فكرت فيما عرضتما علي فعلمت أن عبدالرحمن من نسل قوم لوبال أحدهم في هذه الجزيرة لغرقنا في بوله" ووعدهم كتمان الأمر عن يوسف. (انظر: ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٥-٨٦، مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٨).

(٥) مجهول : أخبار مجموعة، ص ٨٨-٨٩.

(٦) مجهول:المصدر نفسه، ص ٨٩، عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٤، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص ٨.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

وعلى الفور توجه ابن معاوية إلى الأندلس في غرة ربيع الآخر من سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م^(١)، فنزل بالمنكب^(٢) ومنها انتقل إلى طرش^(٣) حيث كان موالي بني أمية في استقباله^(٤). ومن هناك بعث برسالة إلى ما جاوره من مناطق جنوبي الأندلس يدعوها إلى بيعته وأتباعه، فأنته البيعة من كل مكان^(٥). واستقبل استقبالاً فاق حدَّ خياله^(٦). "ولما كملت لديه الجيوش، عقد اللواء، ونهض نحو قرطبة"^(٧) في حين كان والي الأندلس يوسف الفهري ومساعداه الصميل بن حاتم في شمالي الأندلس يخضعان بعض الثورات القائمة ضدَّهما هناك. فما راعهما إلا خبر نزول ابن معاوية في جنوب الأندلس، وانحياش الناس إليه ثم توجهه إلى قرطبة لذا بادرا بالعودة السريعة إلى قرطبة لمقابلة ابن معاوية^(٨).

وفي يوم الجمعة يوم عيد الأضحى من عام ١٣٨هـ/٧٥٥م وعلى ضفاف نهر قرطبة، في موقع يعرف باسم "المُسارة"^(٩)، التقى الجيشان في معركة فاصلة كان النصر فيها حليف

(أ) ابن الأبارة: الحلة السيرة، ج١ ص٣٥. ابن عذارى: المصدر نفسه، ج٢، ص٤٤، ويجعل صاحب كتاب «أخبار مجموعة» نزوله بالمنكب غارة شهر ربيع الآخر من نفس العام. «مجهول: أخبار مجموعة، ص٨٩».

(ب) المنكب: سوف يرد الحديث عنها في الفصل الأول من البحث إن شاء الله.

(ج) طرش: قرية على شاطئ البحر، وتقع بين مدينتي المنكب ومالقه، وتبعد عن قرية شاط بمقدار إثننا عشر ميلاً. انظر: الإدريسي نزهة المشتاق، ج٢، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٥٦٥.

(د) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٤٤.

(هـ) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص١٥٥.

(و) الركابي: في الأدب الأندلسي، (مصر، دار المعارف، دبت)، ص١٦.

(ز) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ج٢، نشرة بروفنسال تحت عنوان "تاريخ اسبانيا الاسلامية" تحقيق: ليفي بروفنسال (بيروت، دار الكشوف، ١٩٥٦م)، ص٨.

(ح) ابن خلدون: العبر ص١٥٥. مجهول: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٤.

(ط) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٨-٨٩ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص٨. ووردت لدى ابن عذارى باسم "المُصارَة". البيان المغرب، ج٢، ص٤٦.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

ابن معاوية وجيشه ليدخل على أثرها إلى قرطبة^{١٠}، بعد أن كان قد "تم أمره في جميع عرب الأندلس"^{١١}. ثم بايعه بقرطبة من لم يكن بايعه من قبل^{١٢}.

منذ ذلك اليوم سعى الأمير عبدالرحمن بن معاوية "الداخل"^{١٣} لضبط الأندلس تحت رايته، وبذل في سبيل ذلك جهداً كبيراً. ووقتاً طويلاً. حتى استطاع أن يكون له "بالعدوة الأندلسية ملك ضخم ودولة متسعة اتصلت إلى ما بعد المائة الرابعة"^{١٤}. يقول ابن حيان^{١٥} واصفاً الجهود التي بذلها الأمير عبدالرحمن الداخل لضبط الأندلس وتنشيط دعائم الدولة: ".... بدأ فدون الدواوين^{١٦}، ورفع الأواوين^{١٧}، وفرض الأعطية وعقد الألوية، وجند الأجناد، ورفع العماد، وأوثق الأوتاد، فأقام للملك آله، وأخذ للسلطان عدته، فاعترف له بذلك أكابر الملوك، وحذروا جانبه، وتحاموا حوزته، ولم يلبث أن دانت له بذلك بلاد الأندلس، واستقل له الأمر فيها".

لم يكن خضوع الأندلس لابن معاوية بالأمر السهل بل خاض في سبيل ذلك الكثير من المعارك والحروب، وواجه الكثير من الثورات الداخلية والغزوات الخارجية فصمد لها، وجابهها بقوة حتى "استلحم الثوار في نواحيها، وقطع دعوة العباسيين من منابرها، وسد المذاهب منهم دونها"^{١٨}.

(١) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج٢، ص ١٩١. ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٥٥.

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٧.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٧.

(٤) ابن الأبار: الحلة السياء، ج١، ص ٣٥. ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٥٤.

(٥) المقرئ: نفح الطيب، ج١، ص ٣١٦.

(٦) نقلاً عن المقرئ: نفح الطيب، ج١، ص ٣١٧.

(٧) الدواوين: مفردتها ديوان. والديوان مجتمع الصحف، والكتاب يكتب فيه أهل الجيش، وأهل العطية، وأول من وضعه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر (الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ط٥، (بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص ١٥٤٥.

(٨) الأواوين: جمع إيوان. وهو البناء الضخم الواسع، الذي يتخذ عادة للحكام وعلية القوم، ومنه إيوان كسرى. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ط٣، (بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص ٤٠.

(٩) ابن خلدون: المصدر نفسه: ج٤، ص ١٥٦. وقد ذكر عدد المؤرخين أن عبدالرحمن أقام أشهراً دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور، حتى تمكن له الأمر في الأندلس فقطع الدعوة لبني العباس حينها وأفرد

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

اتبع عبدالرحمن بن معاوية طوال فترة حكمه (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) سياسة داخلية متوازنة، امتازت بالقوة والمبادأة للثوار الخارجين عليه، فاشتد في التعامل معهم، واستأصل ثوراتهم من جذورها، وقليلاً ما تسامح أو تصالح مع أولئك الثوار وأمثالهم^(١). حتى وصفه بعض المؤرخين بأنه "سريع النهضة، متصل الحركة، لا يخلد إلى الراحة ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمور إلى غيره... شجاعاً، مقداماً، بعيد الغور شديد الحذر، قليل الطمأنينة"^(٢). فاستطاع بذلك أن يوطد دعائم الدولة، ويرسي هيبة النظام الجديد، ويقمع الكثير من أهل الخروج والعدوان^(٣).

وفي المقابل انتهج سياسة القرب والتسامح مع الرعية، والتلطف إلى العامة بكل ما يستطيع، فكان "يقعد للعامة، ويسمع منهم، وينظر بنفسه فيما بينهم ويتوصل إليه من أراد من الناس، فيصل الضعيف منهم إلى رفع ظلامته إليه دون مشقة"^(٤).

ورغم تلك السياسة القوية التي اتبعها لضبط أمور البلاد، وتحقيق وحدتها فقد "ماج على عبدالرحمن بن معاوية بحر الخلاف والمنازعة، وقارع الكثير من الثوار"^(٥) الذين "نافسوه ملكه ولقي منهم خطوباً عظيمة"^(٦).

والناظر إلى ما كانت عليه الأوضاع السياسية في الأندلس في أواخر عصر الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٣-٧٥٥م) وما شهدته من ثورات واضطرابات كثيرة، وتمكن العصبية القبلية في تلك البلاد، وما نتج عنها من حروب متوالية بين القبائل العربية من قيسية ويمانية، وما حدث

نفسه بالدعاء. «انظر: ابن الأبار: الحلة السراء، ج١، ص ٣٥-٣٦. ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٥٧، المقرئ: نفح الطيب، ج١، ص ٣١٥.

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٠-٩١. ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص ٤٤٤-٤٤٥.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص ٤٦٨.

(٣) محمد عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ط٣ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص ١٩٩.

(٤) المقرئ: نفح الطيب، ج١، تحقيق: يوسف البقاعي، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص ٣١٨.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ج٢، ص ٨-٩.

(٦) المقرئ: نفح الطيب، ج١، ص ٣١٩.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

بينها وبين البربر من جهة أخرى^١ الناظر إلى ذلك لا يعجب إذا ما علم كثرة التوارث التي شهدتها عهد الأمير عبدالرحمن الداخل، الذي لم تكد سنة من سنوات حكمه الأربع والثلاثين تخلو من قيام ثورة ضده - كما سيأتي بيانه-، وذلك كثرة الرغبين في الزعامة، الطالبين للحكم، الذين ظنوا ابن معاوية كمن سبقه من حكام الأندلس في أواخر عصر الولاة يركن إلى عصبية دون أخرى وينتصر لها على بقية العناصر الأخرى، وهذا أبعد ما يكون عن فكر وسياسة الداخل، الذي كان يسعى لإقامة دولة، وبعث خلافة تيسط سلطانها على عموم الأندلس، وتضم تحت رايتها جميع عناصر السكان بها من عرب - قيسية ويمنية - وبربر، ومسالمة، ومستعربين وأهل ذمة وغيرهم^٢. دون أن يقدم فئة على أخرى^٣، مما يضمن له ولاء كل الفئات، ويحقق له السيطرة على البلاد، وإقامة الدولة والحكومة التي ينشدها. إذ لم يكن الداخل طالب زعامة فردية مؤقتة لشخصه، بل كان ينشد بناء دولة ثابتة الدائم، وطيدة الأركان، تستمر له ولبنيه من بعده، مما استدعى منه محاولة جذب كل عناصر المجتمع الأندلسي وفئاته تحت راية هذه الدولة، ولتحقيق ذلك كان لا بد من الابتعاد عن العصبية القبلية، وإن استفاد منها في بعض الأوقات في تثبيت ملكه^٤. أو تأييدها أو السماح للعنصر المنتصر بالثأر والتشفي من العنصر المهزوم. وقد وضحت معالم هذه السياسة للداخل من المراحل الأولى لدخوله الأندلس، فهو وإن كان عماد قوته على القبائل اليمنية - إلى جانب الموالي - إلا أنه قد ضم إلى صفة بعض زعماء وأفراد القبائل الشامية^٥.

ورغم إيجابية تلك السياسة التي انتهجها الأمير الداخل منذ بداية حكمه، ورغم أنها كانت الأمثل - في نظره - لتحقيق وحدة تلك البلاد واستقرارها ونشر الأمن بها. إلا أن هذه السياسة ووجهت بالرفض والخروج عليها من قبل الكثير من زعماء القبائل الأندلسية، الذين كان حب

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٨-٢٥، محمد عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ١٤، ق ١، ص ١٢٢-١٢٩.

(٢) عن عناصر السكان في الأندلس انظر: السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، بيروت، النهضة العربية، ١٩٨١م، ص ١١٩-١٣٣.

(٣) وإن كان ابن معاوية قد اعتمد في بداية أمره على اليمنية فإنما هو من باب الاستفادة منهم لتحقيق هدفه في الوصول إلى الحكم. انظر: مجهول: أخبار مجموعة، ص ٨٨، ص ٩٤. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٤، المقري: نفع الطيب، ج١، ص ٣١٤.

(٤) انظر الأمثلة لذلك في ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩١.

(٥) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٥-٨٧.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

الزعامة والرياسة لا يزال متغلغلاً في نفوسهم ، إلى جانب حب البعض منهم للانتقام من العناصر الأخرى.

وكان في أوائل الخارجين على تلك السياسة بعض زعماء القبائل اليمينية - حلفاء الأمس الذين كانت قد وغرت صدورهم ضد الشامية، ورأوا انتصار حليفهم الأموي فرصة سانحة لهم للانتقام من القبائل الشامية، والأخذ بثأرهم منها، فلما تبينوا أن سياسة الأمير عبدالرحمن الداخل لن تحقق لهم ما أرادوا كانوا أول الثائرين ضدها^(١).

ورغم كثرة الثوار من زعماء اليمينية فإن أشدهم خطراً، وأكثرهم جموعاً وأتباعاً كان العلاء بن مغيث الجذامي، الذي نصبه العباسيون والياً لهم على الأندلس^(٢)، فبعث إليه الخليفة العباسي المنصور بسجل بولاية الأندلس ولواء، وجاء في خطابه إليه قوله: «إن كان فيك محمل لمناهضة عبدالرحمن وإلا فابعث إليك بمن يعينك^(٣)». فما كان من العلاء إلا أن رفع لواء المسودة وانطلق في مناطق غرب الأندلس يدعو لبني العباس، ويعلن نفسه والياً على الأندلس من قبل خليفة المسلمين» فأتبعه الأجناد، وتطلع إليه العباد، إلى أن كادت دولة عبدالرحمن أن تنصرم^(٤).

لقد مثلت ثورة العلاء بن مغيث أخطر ثورة يواجهها الداخل في عهده وذلك لامور منها : ما أظهره العلاء من كونه الحاكم الشرعي للأندلس من خلال المرسوم الذي وجهه إليه خليفة المسلمين في حينها - أبو جعفر المنصور العباسي - مما يظهر ابن معاوية أمام الناس بأنه خارج على الخلافة، معارض لأمر الخليفة.

(١) انظر عن تلك الثورات وزعمائها:

- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٥، ٩٠-٩١.
- مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٣، ١٠٤.
- ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٠، ٥١، ٥٣.
- ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٥٧.
- (٢) ابن القوطية: المصدر نفسه، ص ٩١، مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٢. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص ٩.
- (٣) ابن القوطية: المصدر نفسه، ص ٩١.
- (٤) ابن الخطيب: المصدر نفسه، ج٢، ص ٩.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

وثانياً: لكثرة الجموع التي تحزبت حوله، والتفتت تحت رايته السوداء - راية العباسيين يقول ابن القوطية^(١) عن ذلك: " فقام العلاء ودعا إلى نفسه، وتبعه خلق كثير، وتطلع أهل الأندلس إلى خلع عبدالرحمن".

ورغم كل وسائل القوة المدعومة لثورة العلاء بن مغيث فقد تصدى لها الأمير عبدالرحمن الداخل بكل قوة وحزم، واعتمد على عنصر المبادأة التي شهر به - كما مر سابقاً - فلم يمهل العلاء لترتيب قواته، وتنظيم صفوفه، بل بادر بالخروج إليه، قبل أن يصل إلى قرطبة. ثم تمركز الأمير الداخل بقواته في مدينة قرمونة^(٢) الحصينة، لينهك بذلك قوات العلاء بن مغيث^(٣)، الذي حلت الهزيمة به فقتل وتقل معه كثير من أتباعه^(٤).

وعلى أثر انتصار الأمير الداخل على العلاء بن مغيث بعث من فوره برسالة إلى الدولة العباسية، تضمنت رأس العلاء بن مغيث واللواء المعقود له وخطاب ولاية الأندلس الذي بعثه إليه الخليفة العباسي، حيث جمعت في سبط وبعثه مع رجل من أهل قرطبة في جملة الحاج، وأمره أن يضع السبط بمكة^(٥)، فوافق المنصور قد حج تلك السنة فوضعه في باب سرادقة فلما وصل إلى المنصور نظر إليه وقال " عرضناه المسكين للقتل"^(٦).

يبدو أن تلك الرسالة قد أدت غرضها عند العباسيين فتبينوا قوة عبدالرحمن الداخل، ومدى سيطرته على الأندلس، ولذلك صرفوا أنظارهم عن تلك البلاد، حيث لم تشر المصادر فيما طلعت عليه - إلى تدخل مباشر من قبل العباسيين في شؤون الأندلس بعد هذه الحادثة. وإن

(١) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩١.

(٢) قرمونه: تقع على الطريق الرابط بين مدينتي قرطبة وأشبيلية، وتبعد إلى الغرب عن قرطبة بمقدار خمسة وستون ميلاً، بينما تبعد عن اشبيلية بمقدار عشرين ميلاً إلى الشرق وهذا ما جعل أهمية استراتيجية لكلا المدينتين (انظر: ابن غالب: فرحة الأنفس، تحقيق، لطفي عبدالبديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، ج٢، (نوفمبر، ١٩٥٥م، ص ٢٩٢). الحميري: الروض المعطار، ص ٤٦١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩١، ابن الخطيب، أعلام الاعلام، ج٢، ص ٩، ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٥١.

(٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٢. ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٥٧.

(٥) يذكر صاحب كتاب أخبار مجموعة ص ١٠٢ أن السبط القي في أسواق مدينة القيروان وليس بمكة.

(٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٢. ابن الخطيب: أعمال الأعمال، ج٢، ص ٩.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

كان ظهر من بعده من يدعو إلى طاعة العباسيين^٧ إلا أنها كانت جهوداً فردية لم تتلقى دعماً من العباسيين مباشرة.

لم تكن القبائل اليمينية هي من عارضت سياسة عبدالرحمن الداخل وثار عليه وحاربه، بل شاركها في ذلك فئات أخرى من عناصر المجتمع الأندلسي مثل بعض زعماء القبائل الشامية الذين انضموا إلى يوسف الفهري والصميل بن حاتم الذين حاولوا مراراً استعادة حكم الأندلس بعد معركة المسارة غير أن كل تلك المحاولات أخفقت، وانتهى الأمر بهما إلى القتل على يد الأمير عبدالرحمن الداخل وأتباعه في سنة ١٤٢ هـ^٧.

كذلك لم يكن البربر بمنأى عن محاربة الأمير عبدالرحمن الداخل بل كان لهم دور في الثورة والخروج عليه. فكانت حركة شقيا بن عبدالواحد الذي ادعى أنه من ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما وتسمى باسم "عبدالله بن محمد"^٨ وخرج في مناطق شرق الأندلس واستمرت ثورته من سنة ١٥٢ هـ إلى سنة ١٦٠ هـ^٩. وكانت من أشد وأقوى الثورات التي واجهها الأمير عبدالرحمن الداخل، وبذل في سبيل القضاء عليها جهوداً كبيرة استخدم فيها القوة العسكرية إلى جانب المكيدة^٩.

وإلى جانب ما بذله الأمير عبدالرحمن الداخل من جهود داخلية ومتواصلة انتظمت فترة حكمه كاملة - تقريباً - في سبيل تحقيق وحدة الأندلس وتثبيت دعائم دولته الناشئة، كان عليه أيضاً أن يواجه أطماع بعض القوى الخارجية الراغبة في الاستيلاء على الأندلس، والتي كان خطرها لا يقل ضراوة عن خطر الثورات الداخلية. فالممالك النصرانية الناشئة في شمالي الأندلس^{١٠} تبذل كل جهد في سبيل توسيع رقعتها، وبسط سلطاتها، مستغلة ما كانت عليه الأندلس في أواخر عصر الولاة من ضعف وفرقة، لذا بادر الأمير عبدالرحمن الداخل بتحسين الثغور

() مثل هشام الفهري الثائر بطليطلة في سنة ١٤٧ هـ (انظر: ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٣).

() ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٩-٩٠. ابن الأثير: الكامل، ج٤، ط٣ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٠ هـ) (١٩٨٠م) ص ص ٣٦٢-٣٦٥. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٩.

() ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٥٧.

() ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٤.

() ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٤-٥٥.

() سوف يرد الحديث مفصلاً عن نشأة هذه الممالك وعلاقة الدولة الأموية بها في الفصل الخامس من البحث إن شاء الله.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

الشمالية، وشحنها بالمجاهدين كما أنفذ عدداً من الحملات الجهادية صوب تلك الممالك لصد عادية أولئك النصارى^١.

كما لم تنج الأندلس من أطماع قارله^٢ (شارلمان) ملك الفرنجة^٣ (٧٧١-٨١٤م/١٥٥-١٩٩هـ) الذي غزا مناطق الثغر الأعلى الأندلسي^٤ محاولاً الاستيلاء على عاصمته^٥، مستجيباً في ظاهر الأمر لدعوة بعض الثائرين بها ضد الأمير الأموي، الذين استنجدوا به^٦. إلا أنه لم يلبث أن عاد إلى بلاده خائباً، كسير الجناح، لم يظفر بشيء من بلاد الأندلس^٧.

وفي سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م توفي الأمير عبدالرحمن الداخل بعد أن قضى ثلاثاً وثلاثين سنة في الحكم^٨، أمضى جلها في مقارعة الخصوم، ومحاربة الأعداء الخارجين عليه وبذل قصارى ما لديه في تثبيت دعائم الدولة الجديدة، وتحقيق وحدة الأندلس تحت راية بني أمية.

(١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧، ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٥٨.

(٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧.

(٣) سوف يرد الحديث عن تلك الدولة وعلاقتها بالأندلس في الفصل الخامس من البحث إن شاء الله.

(٤) الثغر الأعلى: الثغر هو كل أرض قريبة من العدو، والثغر الأعلى الأندلسي يقصد به ولاية سرقسطة وما جاورها من مناطق شمال شرق الأندلس حتى برشلونه والبحر شرقاً. ويشمل مدن لاردة، وتطيلة، ووشقة، وطرطوشة، وطركونه، وغيرها، وعاصمته مدينة سرقسطة ويقابل حالياً ولاية " أراجوان " من ولايات اسبانيا. (انظر: محمد عنان، دولة الاسلام ١٤/ق" ، ص ٢٣١ حاشية ١).

(٥) وهي مدينة سرقسطة وسيرد الحديث عنها في الفصل الأول من البحث.

(٦) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧، العذري: ترصيع الأخبار، تحقيق عبدالعزيز الأهواني (مدريد: معهد الدراسات الإسلامية ١٩٦٥م) ص ٢٥.

(٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧.

(٨) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، شرح وضبط: أحمد أمين ورفقاه (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت) ص ٤٤٣-٤٤٤. الحميدي: جذوة المقتبس، ق١، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢ (القاهرة وبيروت، دار الكتاب المصري والليباني ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ٣٧-٣٨. المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبط وتعليق محمد العريان ومحمد العلمي، ط٧ (الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٧٨)، ص ٢٩-٣١.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

وبوفاة الأمير عبدالرحمن الداخل تداول الملك من بعده أبنائه وأحفاده وكان أولهم إبنه هشام بن عبدالرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) ^(١) الذي عرف بلقب "الرضا" ^(٢) لعدله وفضله ^(٣) والذي وصف بأنه " خيراً فاضلاً جواداً كريماً" ^(٤) " حسن السيرة متحريراً للعدل" ^(٥)، يشبهه في سيرته بعمر بن عبدالعزيز - رحمهما الله تعالى ^(٦) -.

ورغم أن هشام بن عبدالرحمن قد لقي بعض المعارضة من بعض الطامعين في الحكم والذين كان في مقدمتهم أخواه سليمان ^(٧)، وعبدالله ^(٨). إلا أنه قد ورث عن والده دولة ثابتة الدعائم، لذلك بادر حين فراغاه من ثورة أخويه، وبعض الثورات القليلة الأخرى، بإحياء الجهاد ضد النصارى في شمال الأندلس وجنوبي فرنسا. فوصلت جيوشه إلى ألبة والقلاع ^(٩) «فلقي بها أعداء الله متوافين، فهزمهم الله.. وقتلوا في السهل والوعر ^(١٠)». كما وصلت جيوشه إلى أقاصي الشمال الغربي للأندلس ^(١١) وتجاوزت جيوشه حدود الأندلس مجاهدة فدخلت إلى جنوبي فرنسا في عام ١٧٧هـ/٧٩٣م فأعدت للإسلام وأهله بعض أمجادهم السابقة هناك، وألحقت بالفرنجة هزائم

(١) ابن حزم: رسائل ابن حزم " رسالة في ذكر أوقات الأمراء" ج٢، ص ١٩٢.

(٢) ابن الأبار: الحلة السبراء، ج١، ص ٤٢، ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٦١.

(٣) ابن الأبار: الحلة السبراء، ج١، ص ٤٢.

(٤) مجهول: المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٥) الحميدي: جذوة المقتبس، ق١، ص ٣٩.

(٦) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ج٢، ص ١٢، المقري: نفع الطيب، ج١، ص ٣٢٣.

(٧) ابن الأبار: الحلة السبراء، ج١، ص ٤٢-٤٣. المقري: نفع الطيب، ج١، ص ٣٢٠. محمد عنان: دولة الاسلام في الأندلس، ١٤، ق١، ص ٢٢٤.

(٨) ابن الخطيب: الاحاطه، ج٤، ص ٢٧٤-٢٧٥. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٦١-٦٢.

(٩) ألبة والقلاع: تطلق على ولايتي قشتاله القديمة (Castile) وألفا (Alava) وكانت تشمل في العصور الوسطى جميع المنطقة الواقعة بين نهر دوبرة جنوباً والبحر شمالاً وبين نافار (اليشكنس) والثغر الأعلى (راجون) شرقاً ومملكة ليون غرباً. وتعتبر آلة إحدى ولايات بلاد اليشكنس والقلاع هي التي عرفت فيما بعد باسم (قشتالة). انظر: محمد عنان: نهاية الأندلس، ١٤، ق١، ص ٢١٦، حاشية ٢.

(١٠) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٦٣.

(١١) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٥٩.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

كبيرة، وكانت «غزوة شهيرة الخبر، بعيدة الخطر» كما وصفا ابن عذارى^(١). وتوالت حملات الجهاد في عهده إلى تلك البلاد حتى أتخنت في أهلها، وصدت عاديتهم على بلاد المسلمين، حتى وصفه ابن خلدون^(٢) بأنه «كان كثير الغزو والجهاد».

لقد سار هشام بن عبدالرحمن طوال فترة حكمه على نفس سياسة والده فلم يغير منها شيئاً، يعبر عن ذلك ابن الخطيب^(٣) بقوله عنه: " وجرى مجرى أبيه في الأمن" وركز على الجهاد ضد النصارى بشكل ظاهر طوال حكمه، وجمع حوله العلماء والفقهاء، فكانوا بطانته ومستشاريه^(٤).

وحين توفي الأمير هشام بن عبدالرحمن آل الحكم إلى ابنه الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦ هـ/٧٩٦-٨٢١ م) الذي تضاربت أقوال المؤرخين. فيه ففي حين يصفه ابن القوطية^(٥) بأنه " كان جميل السيرة في رعيته، متخيراً لحكامه وعماله، مؤمناً للسبل، متكرراً بالجهاد" ، ويصفه صاحب كتاب أخبار مجموعة^(٦) بأنه " متواضعاً للحق، منقاداً للإنصاف من نفسه فضلاً عن ولده وسائر خاصته" في الوقت نفسه يصفه ابن حزم^(٧) بأنه "كان طاغياً مسرفاً له آثار سوء قبيحة" ويعده في قائمة المجاهرين بالأنهماك في المعاصي والذات^(٨). ويصفه بتلك

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٦٤. وانظر: المقري: نفع الطيب، ج١، ص ٣٢٣-٣٢٤.

(٢) العبر، ج٤، ص ١٦٠.

(٣) أعمال الأعلام، ج٢، ص ١١.

(٤) ابن الأبار: الحلة السيرا، ج١، ص ٤٢.

(٥) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٢.

(٦) مجهول، ص ١١٣.

(٧) رسائل ابن حزم " ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس" ج٢، ص ١٩١.

(٨) ابن حزم: «نقط العروس» ضمن رسائل ابن حزم، ج٢، ص ٧٥.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

الصفات نفسها كل من الحميدي^١ والمراكشي^٢ ويصفه الذهبي^٣ بأنه " كان من جبابرة الملوك، وفساقهم، ومتمرديهم.. ذا دهاء وحزم، وعُتوٍ وظلم".

ومع هذا التضارب في صفات الحكم التي توردها المصادر، فإن جُلَّ المؤرخين يجمعون على أنه كان شجاعاً باسلاً، ذا أنفة وأبهة وعزة، جيد الضبط، حسن السياسة^٤.

وبالنظر إلى تلك الروايات المتضاربة يمكن أن يقسم عهد الأمير الحكم بن هشام إلى فترتين رئيسيتين الأولى تبدأ منذ توليه الحكم في (١٨٠هـ) وتستمر إلى سنة (١٨٩هـ) وهي الفترة التي حدث فيها تحول في سياسة الدولة الأموية الداخلية، إذ تنكب الحكم مسيرة وسياسة والده هشام الرضا الذي كان هشام على سيرة حميدة في ذاته^٥، مما نتج عنه تألف وتلاحم بين الحاكم والمحكوم أفضى إلى هدوء البلاد، وإحياء الجهاد، بينما كان الحكم في سيرته الذاتية على العكس من ذلك كما وصفه أغلب المؤرخين.

وامتد ذلك التحول السياسي إلى الجوانب الاقتصادية فبعد أن عمد الأمير هشام إلى «قطع العشور وأخذ الزكوات فقط»^٦ تخفيفاً على الرعية ورفقاً بهم، عمد خليفته الحكم إلى الاستكثار من الضرائب، واشتد في فرض المغارم على الناس حتى أثقل ذلك عليهم^٧.

نتج عن هذا تغير في سياسة الدولة، فبعد أن كان العلماء والفقهاء هم جلساء الأمير هشام الرضا وهم أهل مشورته^٨، استبدلهم ابنه الحكم بأهل البطالة وأصحاب اللهو والطرب،

(١) جذوة المقتبس، ج١، ص ٣٩.

(٢) المعجب، ص ٣٣.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج٨، تحقيق، نذير حمدان، ط٨ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، ص ٢٥٤.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص ٤٤٥-٤٤٦. ابن سعيد: المغرب في حُلَى المغرب، ج١، تحقيق: شوقي ضيف، ط٣، (القاهرة، دار المعارف، د.ت) ص ٣٨-٣٩. ابن الأبار: الحلة السيرة، ج١، ص ٤٣-٤٤. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص ١٤.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص ٤٤٥، وانظر أعلاه ص ١٤.

(٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٧.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ط٣ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص ١٧٢. ابن سعيد المغرب، ج١، ص ٤٣. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص ١٥.

(٨) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج١، ص ٤٢.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

ومجالس الشرب والسهر^٧ ونتج عن ذلك انهماكاه في لذاته وشهواته، ومجاهرته بالمعاصي والفجور^٨، مما أدى إلى كره العلماء والعامّة لسيرته، وأفضى ذلك إلى اضطرابات وفتن وقلقل شهدتها هذه الفترة الأولى من فترتي حكم الأمير الحكم بن هشام. فكان أول الخارجين عليه هم أهل بيته وقرابته وفي مقدمتهم عمه سليمان عبدالرحمن الداخل الذي ظفر به الحكم فقتله في عام ١٨٥هـ/٨٠١م^٩.

ثم أتبعه بعميه كليلاً وأمياً فقتلها ثم صلبهما^{١٠}، ثم انداحت مشاعر الاستياء والغضب منه ومن سياسته إلى عدد من المدن الأندلسية، وكان أشهرها ثورات طليطلة التي تعامل معها الحكم بكل قسوة وقوة فقتل في يوم واحد " من وجوه طليطلة وأعيانها خمسة آلاف وثلاثمائة رجل ونيف"^{١١} ثم بلغ الاستياء ذروته وانتشر في العامة والخاصة، فكان الحادث الأشد في تاريخ الإمارة الأموية بشكل عام، والأبعد أثراً في نفس الأمير الحكم بن هشام هو حادث " هيج الربض"^{١٢} الذي وقع في سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م، على أثر ما دبره بعض العلماء والفقهاء الذين أنكروا سيرة الحكم، وعزّ عليهم انتهاكه للحرمات، فرأوا أنه غير عدل، "وزعموا أنه لا يحل المكث ولا الصير على هذه السيرة الذميمة"^{١٣}. ولكن أمر هذه المؤامرة كشق للحكم، فعاقب المشاركين فيها بكل قسوة وعنف وقتل من العلماء عدداً كبيراً، كان منهم " ستة من أعلام القوم المشاهير"^{١٤} وذلك في سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م^{١٥}.

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد، ج٤، ص ٤٤٥، ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٧٩.

(٢) ابن حزم: رسائل ابن حزم (نقط العروس) ج٢، ص ٧٥.

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص ١٥. ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٦٠-١٦١.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢٥٧.

(٥) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٩-١٠٠. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٥.

(٦) سوف يرد الحديث عنه وعن أسبابه مفصلاً في الفصل الثاني: موقف الحكام من التجارة.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢٥٥.

(٨) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٢.

(٩) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٧١.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

لقد كان لهذه الحادثة أثر سيء في نفوس العامة بقرطبة مما زاد من استيائهم من الأمير الحكم، إلى جانب سوء السياسة الاقتصادية التي انتهجها الأمير^٧. كل ذلك أدى إلى وقوع حادثة الربض التي قتلت فيها قوات الأمير خلقاً كثيراً من العلماء ومن العامة، وقتل من الأسرى منهم " نحو ثلاثمائة ، صلبهم على النهر"^٨ ثم أمر من بقي منهم بمغادرة الأندلس^٩ وسوى الربض بالأرض ، وحول إلى مرزعة بعد أن كان حياً مسكوناً، ومحلة متصلة^{١٠}.

لقد مثلت حادثة الربض - التي لقب بها الحكم بعد ذلك فأصبح يعرف بالحكم الربضي^{١١} - نقطة تحول في تاريخ الأمير الربضي، حيث أدركه الندم الشديد على قتل العلماء وعلى القسوة الشديدة التي تعامل بها مع أهل الربض، وإجباره لمن بقي منهم على مغادرة الأندلس تماماً^{١٢} " وطاولت الحكم بعد هذا علة صحبته سبعة أعوام مات في آخرها ، على ندم وتوبة مما جرى على يده ، " وأخذته في العلة رقة فكان يسهر بالقرآن إلى أن توفي" كما يقول ابن القوطية^{١٣} ويقول ابن الأبار^{١٤} " ولم ينل الحكم بعد وقيعة الربض حلاوة العيش، وامتنح بعلة صعبة طاولته أربعة أعوام ، فلت غربه، وأطالت ضناه.. فمات عن توبة من ذنوبه، وندم على ما اقتترف منها".

وبذلك تبدأ الفترة الثانية من فترتي حكم الأمير الربضي والتي تستمر على مدى أربعة أعوام تقريباً (٢٠٢-٢٠٦هـ/٨١٧-٨٢١م) وهي الفترة التي عاد فيها الحكم إلى انتهاج سيرة

(١) ابن سعيد: المغرب، ج٢، ص ٤٣. ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، ص ١٥، وسيرد تفصيل ذلك في الفصل الثاني إن شاء الله.

(٢) ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ٤٢.

(٣) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج١، ص ٤٤-٤٦.

(٤) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج٢، ص ١٩٢.

(٥) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج٢، ص ١٩٢. الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص ٣٩. ابن الأبار: الحلة السيرة، ج١، ص ٤٣.

(٦) ابن الأثير: الكامل ج٥، ص ١٧٢-١٧٣. ابن سعيد : المغرب، ج١، ص ٤٢.

(٧) تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٠٥، السبعة الأعوام التي ذكر هنا على اعتبار بداية الحادثة في عام ١٨٩هـ/ حين قتل الحكم بعض العلماء.

(٨) الحلة السيرة: ج١، ص ٤٦-٤٧.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

وسياسة والده هشام الرضا فعفا عن العلماء^(١) وقرب الفقهاء والعلماء والصالحين^(٢)، وتقرب إلى العامة، وسار فيهم بالعدل والاحسان، وابتعد عن المحرمات^(٣).

وفي ضوء هذا التقسيم لعهد الأمير الحكم الربضي يمكن الجمع بين تلك الصفات المتضاربة التي أوردها العلماء عن الحكم^(٤) فيمكن حمل تلك " السيرة الذميمة"^(٥)، التي وردت عنه في المصادر على الفترة الأولى من حكمه، يؤيد هذا ما ذكره ابن الأثير^(٦)، من أن «الحكم تظاهر في صدر ولايته بشرب الخمر والانهماك في اللذات»، بينما تحمل تلك الصفات الحميدة والخلال الجميلة التي أوردها له المصادر الأخرى، على الفترة الثانية من حكمه.

وقد استغل النصارى في انشغال الأمير الأموي بالقضاء على الفتن والثورات الداخلية وأخذوا يمدون حدودهم، ويستولون على ثغور المسلمين المجاورة لهم، وكان شارلمان امبراطور الفرنجة أول المستغلين لتلك الظروف، حيث سیر حملة عسكرية كبيرة استولت على ثغور برشلونة^(٧) الساحلي الهام في شمالي الأندلس في عام ١٨٥هـ/٨٠١م^(٨). ثم حاول بعد ذلك مدّ حدوده إلى المدن الواقعة جنوبي برشلونة^(٩) غير أن قوات الإمارة الأموية استطاعت صدّ عاديّتهم فلم يتمكنوا من احتلال تلك المواضع التي قصدوها في عامي ١٩٢-١٩٣هـ/٨٠٨-٨٠٩م^(١٠).

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٣-١٠٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢٦٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٦٣. المقرئ: نفع الطبيب، ج١، ص ٣٢٧.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٧٧.

(٤) انظر: أعلاه ص ١٦.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢٥٥.

(٦) الكامل في التاريخ، ج٥ ص ١١٩.

(٧) برشلونة (Barcelona) تقع على ساحل البحر المتوسط، إلى الشمال من ميناء طركونه الأندلسي على بعد خمسين ميلاً، وقد أصبحت عاصمة لمملكة الفرنجة (قطلونية) بعد خروجها من أيدي المسلمين (أبو الفداء، تقويم البلدان، باريس ١٨٩٠م) ص ١٨٢-١٨٣. الحميري: الروض المعطار، ص ٨٦-٨٧.

(٨) ابن الأثير: الكامل: ج٥، ص ١١٠-١١١، ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٦١.

(٩) ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ٤٠. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٧٢-٧٣.

(١٠) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٧٢-٧٣.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

وبوفاة الأمير الحكم الربضي تولى الأمر بعده إبنه عبدالرحمن " الأوسط" (١٣٨/٢٠٦هـ/٨٢١-٨٥٢م) واسطة عقد الإمارة الأموية. وأظهر حكامها بعد جده الأعلى عبدالرحمن الداخل " فهو الذي استكمل فخافة الملك بالأندلس وكسا الخلافة أبهة الجلالة"^(١)، "وكان وادعاً محمود السيرة"^(٢) أمتاز بأنه " سار بخير سيرة.. فعاش بخير وكانت رعيته معه بخير"^(٣) وكان - رحمه الله - " مكرماً لأصناف العلماء محسناً لهم"^(٤)، "ملتزماً أكرام أهل العلم، وأهل الأدب والشعر في دولته، وإسعافهم في مطلبهم كلها"^(٥) كما كان أيضاً : «ملكاً كبيراً، قارع الثوار، وهزم الكفار، وأبعد الآثار»، كما يصفه ابن الخطيب^(٦). وفي المجال الإداري رتب الأمير عبدالرحمن شؤون الدولة، ووزع المهام على عدد من الوزراء بحيث اختص كل وزير بعمل محدد^(٧). فهو «أول من رتب اختلاف الوزراء إلى القصر.. وكان له وزراء لم يكن للخلفاء قبله ولا بعده مثلهم»^(٨).

ورغم هذه الصفات الحميدة فإن عهد الأمير عبدالرحمن لم يخل من ظهور بعض الفتن والثورات^(٩) ضده، خاصة في بعض المدن مثل طليطلة^(١٠)، وماردة^(١١)، وفي بعض الكور مثل كورة

(١) ابن الأبار: الحلة السيرا، ج١، ص ١١٣.

(٢) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج٢، ص ١٩٢. الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص ٣٩.

(٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٦.

(٤) ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ٤٦.

(٥) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٦.

(٦) ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ٤٦.

(٧) ابن القوطية: المصدر نفسه، ص ١٠٦.

(٨) أعمال الاعلام، ج٢، ص ٨.

(٩) مثل ثورة عمه عبدالله البلسني (انظر: ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٦٣) وثورة موسى بن موسى التائر بتطيلة من الثغر الأعلى (انظر: ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ٤٩).

(١٠) انظر تفصيل تلك الثورات في: ابن خلدون: العبر، ج٢، ص ١٦٤-١٦٥. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٨٤-٨٥.

(١١) ماردة: تقع في الجوف من قرطبة على بعد خمسة أيام (١٢٥) ميل تقريبا. وإلى الغرب منها وكانت من قواعد الأندلس الهامة في زمن القوط. وقد شهرت بأسواقها وفنادقها الكبيرة (مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ج١، تحقيق: ليوس مولينا - مدريد معهد ميغل أسين ١٩٨٣م). ص ٥٦-٥٧.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

تدمير^(٧) التي انبثقت فيها التفتنة بين اليمينية والمضرية، ورغم محاولات الأمير عبدالرحمن الأوسط إطفاء نار تلك الفتنة، وتدخل جيوشه مرات متعددة، فقد شغلت من عهده سبع سنوات متوالية^(٨).

ولقد استثمر الأمير عبدالرحمن الأوسط أيام حكمه التي امتازت بأنها "أيام هدوء وسكون"^(٩) في بناء مؤسسات الدولة، وتنظيم الوضع الداخلي للبلاد، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الرقي الحضاري، والتقدم الاقتصادي مما جعل الأندلس تشهد في عهده نهضة حضارية شاملة، وتقدماً اقتصادياً كبيراً، وتطوراً علمياً ومعرفياً واسعاً^(١٠).

وفي مجال الجهاد ضد نصارى الشمال بذل الأمير عبدالرحمن الأوسط جهوداً كبيرة، وأخرج إليهم عدداً من الحملات قاد بعضاً منها بنفسه وكلف بعض قادته بالأخرى^(١١)، وكان لتلك الحملات أثرها في المحافظة على حدود الدولة الإسلامية في الأندلس، وصد عادية النصارى عنها^(١٢).

وفي مجال العلاقات الخارجية اتسعت صلات الدولة الأموية في عهده بشكل كبير لم يسبق له مثيل في عمر هذه الدولة، فقدمت إلى بلاد عبدالرحمن الأوسط عدد من السفارات من مختلف الدول المعاصرة له، تخطب وده، وتعد الاتفاقيات السياسية والاقتصادية مع الدولة الأموية^(١٣).

(٧) كورة تدمير : (Tudmir) كورة تقع في شرق الأندلس ، وتجاور كورة جيان شرقاً وهي كورة متناهية في كرم البقعة، وطيب الثمرة. وحين اختطت مدينة مرسية سنة ٢١٦هـ/٨٣١م سميت الكورة باسمها. وأصبحت قاعدتها (انظر: ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٨٤، العذري: ترصيع الأخبار، ص ١، الحميري: الروض المعطار، ص ٥٣٩).

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ٢٠٥ ، ابن سعيد : المغرب، ج١، ص ٤٨.

(٩) المقرئ : نفع الطيب ، ج١، ص ٣٣٢.

(١٠) عن تلك النهضة الحضارية انظر (حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط١، (القاهرة: دار المستقبل، ١٩٨٠م) ص ٢٨٤-٢٩٨. أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس (الاسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية ، د.ت) ص ١٣٧-١٤٢.

(١١) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٦٥. ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ج٢، ص ١٩-٢٠.

(١٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٨٥-٨٧.

(١٣) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٦٦، المقرئ: نفع الطيب ، ج١، ص ٣٣١. وسوف يرد الحديث عن تلك العلاقات والسفارات وأهدافها مفصلاً في الفصل الخامس من البحث - إن شاء الله تعالى -.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

ولقد دهم الأندلس في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط خطر جديد، لم يكن له بها ذكر من قبل، وهو خطر النورمان^١ الذي غزوا الأندلس عن طريق المحيط الأطلسي لأول مرة في عام ٢٢٩هـ/٨٤٣م. فهاجموا بعض المدن الساحلية في غربي الأندلس، ثم صعدوا بمراكبهم عبر نهر الوادي الكبير حتى هاجموا إشبيلية^٢. وقد تمكن الأمير عبدالرحمن الأوسط من إخراج هؤلاء الغزاة من الأندلس. ثم حصن تلك المدن التي هاجمها^٣، وكانت أهم النتائج المترتبة عن تلك الغزوة هي نشأة الأسطول الأموي وتقويته واهتمام الأمير به لمواجهة مثل تلك الأخطار^٤. التي تكرر فيما بعد - كما سيأتي بيانه إن شاء الله - .

في سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م توفي الأمير عبدالرحمن الأوسط، ليورث لابنه محمد وخليفته محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨هـ - ٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) دولة ثابتة الدعائم، خضعت لها كل كور الأندلس - تقريباً - وامتدت علاقاتها الخارجية إلى أقصى الشرق والشمال والجنوب. وأصبحت الدولة الأموية حينها تتبوأ منزلة سامية بين الدول المعاصرة لها.

ورغام ذلك فقد واجه الأمير محمد بن عبدالرحمن لأول ولايته مصاعب ظهرت له في مختلف النواحي، وكانت بداياتها من مدينة طليطلة حيث لقي من أهلها عناءً شديداً، واستمرت ثوراتهم المتتالية طوال فترة حكمه تقريباً، رغم أن قواته قد استطاعت أن تحرز عليهم الانتصار في أكثر الأوقات، وأن تجبرهم على طلب المودعة، وتلزمهم إظهار الولاء والطاعة^٥.

(١) يعرفون في المصادر الإسلامية باسم "الاردمانيون" (انظر: ابن سعيد، المغرب، ج١، ص ٤٩). أو المجوس، انظر: ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٨٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص ٢٠. ابن خلدون: المصدر نفسه ج٤، ص ١٦٥. المقري: نفع الطيب، ج١، ص ٣٣٠) ويعرفون في المؤلفات الأوروبية باسم "الفايكنج" وموطنهم الأصلي البلاد الاسكندنافية في أقصى شمال أوروبا، وقد هاجموا الأندلس مرات متعددة، كما سيأتي بيانه لاحقاً - إن شاء الله - وكانوا متبريرين يدمرون ويسرقون وينهبون كلما أتوا عليه. (انظر: حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب، ص ٢٨٢).

(٢) ابن عذارى: المصدر نفسه، ج٢، ص ٨٧-٨٨، ابن خلدون، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٦٥-١٦٦.

(٣) العذري: ترصيع الأخبار، ص ٩٨-٩٩. المقري: المصدر نفسه، ج١، ص ٣٣٠-٣٣١.

(٤) سوف يرد الحديث عن نشأة الأسطول ودوره العسكري والتجاري في الفصل الثاني من البحث إن شاء الله.

(٥) عن ثورات طليطلة المتكررة انظر: ابن عذارى: المصدر نفسه، ج٢، ص ٩٤-٩٦. ابن الخطيب: المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٠-٢١.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

كما ثار عليه أهل ماردة في ٢٥٤هـ/٨٥٩م،^(١) فخرج إليهم الأمير بنفسه فهزمهم حتى أذعنوا له بالطاعة، ثم أخذ من مشاهيرهم وقوادهم رهائن عنده كان منهم عبدالرحمن بن مروان الجليقي^(٢). الذي سيكون له بعد ذلك أثر كبير في تاريخ غربي الأندلس^(٣).

وبالرغم من كثرة وقوة الثورات التي شهدتها عد الأمير محمد بن عبدالرحمن إلا أن التحول الأكبر في تاريخ هذا الأمير حدث عندما قام بتعيين هاشم بن عبدالعزيز^(٤) وزيراً له^(٥) حيث نتج عن هذا التعيين تغيير جوهرى في السلطة السياسية في الدولة الأموية، إذ تحولت الوزارة على يد هاشم هذا من وزارة تنفيذ إلى وزارة تفويض^(٦). يفصح عن ذلك تمام الإفصاح ابن سعيد^(٧) حيث يقول: "وكان محمد قد فوّضَ أمور دولته لهاشم بن عبدالعزيز أعظم وزرائه، واشتمل عليه اشتمالاً كبيراً". ويزيد الخشني^(٨) الأمر توضيحاً فيقول عن هاشم: «فكان الناهض بأعباء الخلافة، والمتصرف في وجوه النظر والمستولي على أسباب التدبير، لا تنفذ العقود إلا به، ولا يحكم الأمير إلا على يده».

(١) ابن عذارى: المصدر نفسه، ج٢، ص ١٠٠.

(٢) هو عبدالرحمن بن مروان بن يونس الجليقي، نسبة إلى جليقية حيث أصله من هناك وكان من أشد الثوار في غرب الأندلس حتى توفي بها في عام ٢٧٦هـ/٨٨٩م وهو باني مدينة بطليوس التي أصبحت قاعدة الغر الأندلسي في ٢٦١هـ/٨٧٤م، وكان ذا بأس وكيد عظيم إلى دهاء ومكر لا يلاحقه فيه أحد كما يصفه ابن حياة (المقتبس (م) ص ٣٤٣). وانظر: الضبي: بغية الملمتس، ج٢، ص ٤٨٣).

(٣) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج٤، ص ١٧٠.

(٤) أبو خالد هاشم بن عبدالعزيز بن هاشم، أصله من موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه، حاز أسلافه الرياسة بالبيرة، وعظم قدره في قرطبة على يدي الأمير محمد الذي يؤثره بالوزارة ويرشحه على بنييه، ويوليه الإمارة والقيادة، وقد تولى قيادة جيوش الإمارة أكثر من مرة، وتعرض لعدد من الهزائم، ظل في الوزارة إلى وفاة الأمير محمد ثم عينه خلفه المنذر بن محمد في الحجابة لأول عهده، ثم نكبه وقتله لأشياء حقدتها عليه في خلافة أبيه. وكان مقتله في سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م. (انظر: ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص ١٣٧-١٤٢. ابن سعيد: المغرب، ج٢، ص ٩٤-٩٥. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١١٥).

(٥) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ج٢، ص ٢١.

(٦) انظر عن تقسيم الوزارة وشروطها: الفصل الخامس من البحث.

(٧) المغرب، ج١، ص ٥٢-٥٣.

(٨) قضاة قرطبة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، (القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص ١٥٩.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

وتصف المصادر هاشم بأنه كان " تياهاً معجباً، كثير الاعتماد على ما يحقد عليه قلوب العباد"^٧ كما كان حاداً في طباعه وتصرفاته وتعامله مع زعماء البلاد ورؤساء القبائل^٨. متعجلاً في قراراته^٩. وكان من نتائج تعيين هذا الوزير، وتفويض الأمر إليه أن " اضطربت الأندلس بسوء تدبيره"^{١٠}. وكثر بها الثوار، وتعاضمت قوتهم، حتى أعى البعض منهم الدولة، وكان من أشهرهم عبدالرحمن بن مروان الخلفي - السابق ذكره - الذي فر من يد الأمير محمد بن عبدالرحمن بعد أن استأمنه وأنزله معه قرطبة^{١١}. ثم استولى على معظم مناطق غرب الأندلس، واتخذ من بطليموس^{١٢} قاعدة له، ولم تستطع كل الحملات التي أخرجها إليه الأمير القضاء على ثورته، بل اضطرت الأمير محمد في نهاية الأمر أن يعترف بابن مروان حاكماً على غرب الأندلس، مع الإقرار بالتبعية الإسمية للإمارة الأموية^{١٣}

وشهد عهد الأمير محمد بداية ثورة عمر بن حفصون^{١٤}، الذي يعد "أكبر الثوار بالأندلس" كما قال ابن حيان^{١٥}، والذي "أعي الخلفاء أمره، وطالت في الدنيا فتنته، وعظم شره"^{١٦} تلك الثورة التي أزرت بكل ثورة، والفتنة التي أقعدت كل فتنة. حتى أصبحت "فتنة

() ابن سعيد : المغرب، ج-٢، ص ٩٤.

() ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج-٢، ص ٢١.

() ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٢٤.

() ابن سعيد : المصدر نفسه، ج-٢، ص ٩٤.

() ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج-٢، ص ٢١.

() بطليموس : تقع إلى الشمال الغربي من اشبيلية على بعد سنتين فرسخاً (١٨٥ ميل) منها وهي على نهر وادي يانة بنيت على يد الثائر عبدالرحمن بن مروان الجليقي في عام ٢٦١هـ/٨٧٩م (انظر: البكري المسالك والممالك، ج٢، تحقيق : أدريان ليوفن واندرى فيري (دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٢م) ص ٩٠٦-٩٠٧. سحر السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ بطليموس الاسلامية، ج١، (الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة د.ت) ص ١٣٧-١٤٤.

() ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٢٤-١٢٥.

() سوف يأتي الحديث عنه وعن ثورته في الفصل الثاني من البحث إن شاء الله.

() ابن عذارى: البيان المغرب، ج-٢، ص ١٠٦ (نقلاً عن ابن حيان).

() ابن عذارى: المصدر نفسه، ج-٢، ص ١٠٤.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

سمر الركاب، وحديث الرفاق، شدة أسر، وثقل وطأ وسعة ذرع، واتصال حبل" كما وصفها ابن الخطيب^٥.

ويمكن أن نلخص العوامل التي نبعت منها قوة ثورة ابن حفصون في ثلاثة عوامل رئيسية هي:

١- رفعها لواء الشعبوية : حيث دعا إلى الثورة ضد العرب، ونزع السلطان من أيديهم، فانضم إليه المولدون والمسالمون، والمستعربون (نصارى أهل ذمة)^٦ وهم يمثلون أكبر عناصر السكان في الأندلس^٧، فامتد بذلك تأييده في معظم كور الأندلس ومدنها -فضلاً عن مناطق ثورته في الجنوب^٨ -.

٢- سيطرتها على المناطق الجنوبية والشرقية للأندلس الغنية بمواردها الاقتصادية، والتي تقوم بها أهم الموانئ الأندلسية على شاطئ البحر المتوسط^٩، مما مكنه - بعد استغلاله لتلك الموارد - من الاتصال بالخارج بسهولة.

٣- تلقيها الدعم الخارجي من قبل أعداء الأمويين في المغرب^{١٠}، أو من قبل النصارى في شمال الأندلس^{١١}.

لقد اشتملت تلك الثورة منذ قيامها في سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م عهد الأمير محمد ثم ابنه المنذر وعبدالله ثم بداية عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر ، ولقد سير الأمير محمد إلى هذا التأثير

() الاحاطة ، ج٤، ص ٤٠.

() ابن حيان: المقتبس ، ق٣، تحقيق : مشلورم: انطونية (باريس ، ١٩٣٧م)، ص ٥١.

() السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ١٢٧-١٢٨.

() محمد أبا الخيل : الأندلس الربع الأخير من القرن الرابع، ط١ (الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٦هـ)، ص ١٢٢.

() سوف يرد الحديث عن ذلك في الفصل الخامس من البحث إن شاء الله.

() ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٦٥.

() ابن حيان: المقتبس ج٥، تحقيق : شالميتا وآخرون (مدريد: المعهد الاسباني العربي للثقافة، ١٩٧٩م)، ص ١٦٨.. أحمد بدر : تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة) (دمشق ١٩٧٤م)، ص ٦-٧.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

عدداً كبيراً من الحملات المتتالية منها ما قادها بنفسه^٧. ومنها ما استتاب عليها ابنه المنذر^٨ أو بعض قادته ووزرائه^٩ بيد أن تلك الحملات لم تستطع القضاء النهائي على ثورة ابن حفصون، وإن نجح البعض منها في هزيمته، واضطراره إلى التسليم المؤقت^{١٠}.

وكان آخر الحملات التي بعثها إليه الأمير محمد بن عبدالرحمن حملة عام ٢٧٢هـ/٨٨٥م بقيادة ابنه المنذر^{١١}، والتي فرضت على ابن حفصون حصاراً شديداً، حتى كاد أن يسلم لها، لولا ورود خبر وفاة الأمير محمد بن عبدالرحمن، مما اضطر المنذر إلى العودة السريعة إلى قرطبة^{١٢}.

إلى جانب ذلك كان الأمير محمد محباً للجهاد «غزاًء لأهل الشرك والخلاف، وربما أوغل في بلاد العدو الستة الأشهر أو أكثر يحرق وينسف»^{١٣}. وقد تعرضت مملكة النصارى في آلبه والقلاع لعدد من الحملات الجهادية المتكررة من قبل قوات الأمير محمد بدءاً من عام ٢٤١هـ/٨٨٥م^{١٤} كما بعث الجيوش أيضاً إلى أراضي برشلونه في الشمال الشرقي فكان لها هناك وقائع مذكورة^{١٥}.

وحينما هاجم المجوس النورمان سواحل الأندلس في عام ٢٤٥هـ/٨٥٩م لم يستطيعوا أن يحدثوا بها ضرراً، حيث "وجدوا البحر محروساً، ومراكب المسلمين معدة، تجري من حائط

() ابن الخطيب: الاحاطة، ج٤، ص ٤٠-٤١.

() ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٦.

() ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٢٧.

() ابن الخطيب: الاحاطة، ج٤، ص ٤٠.

() ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٦٠، ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٦.

() ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٦.

() ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص ٤٤٩.

() ابن عذارى: المصدر نفسه، ج٢، ص ٩٥. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص ٢١.

() ابن عذارى: المصدر نفسه، ج٢، ص ٩٥. ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٦٧.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

إفرنجة إلى حائط جليقية في الغرب الأقصى^(١) " مما جعل تلك المراكب الغازية تعود خائبة بعد أن هاجمت بعض شواطئ المغرب الإسلامي^(٢).

وفي عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن اتسعت علاقات الدولة الأموية الخارجية، وارتفعت مكانتها ، ووثقت صلاتها مع العديد من الدول المعاصرة لها في بلاد المغرب، والمشرق^(٣) وكان ملوك الفرنجة بها يُهادونه ويخطبون وده^(٤).

استطاع الأمير محمد بن عبدالرحمن أن يُحكم قبضته على البلاد، في الفترة الأولى من حكمه، بيد أن الأمور قد بدأت تتخذ وجهة مخالفة لما كانت عليه، وذلك في أواخر حكمه، حيث كثرت الثورات ، وتعدد المنتزون في أطراف الدولة، حتى اتسع الخرق على الراقع، وبدأت الأمور تسير إلى الانحدار - كما ذكر سابقاً - فلم يمت الأمير محمد في سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م إلا والأندلس تضطرم بنار الفتنة، وتسودها عوامل الفرقة والانقسام لتدخل الأندلس بموته مرحلة حرجة جداً في تاريخ الدولة الأموية.

ولي الأمر من بعد الأمير محمد ابنه الأمير المنذر (٢٧٣/٢٧٥هـ - ٨٨٦م/٨٨٨م) وقد كان " بعيد المهمة، قوي الشكيمة" كما يصفه كل من ابن عبدربه^(٥)، وابن الخطيب^(٦). ويصفه ابن عذارى^(٧) بقوله: " ولم يكن أحد من الخفاء قبله مثله شجاعة وصرامة وعزماً وحزماً". بتلك الصفات القوية بدأ المنذر حكمه وعقد عزمه على استرجاع هيبة الدولة، وإعادة المناطق الخارجة عن سلطة بني أبيه إلى حضيرة الدولة^(٨). فكانت أول خطوة قام بها أن قتل وزير أبيه هاشم بن عبدالعزيز - الذي رأى أن فساد الأمور^(٩). ثم ركز المنذر جهوده في سبيل القضاء على ابن حفصون، فتابع الحملات إليه، وقادها بنفسه حتى ضيق الخناق عليه، وكسر شوكته "وأوفى

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٦.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٥، ص ٢٩٩-٣٠٠، ابن خلدون: العبر ، ج٤، ص ١٦٧.

(٣) ابن الخطيب أعمال الأعمال، ج٢، ص ٢٢.

(٤) ابن الخطيب : المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٣.

(٥) العقد الفريد، ج٤، ص ٤٥١.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٣.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٢٠.

(٨) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٢٥. ابن خلدون : المصدر نفسه، ج٤، ص ١٦٩.

(٩) ابن سعيد : المغرب ، ج١، ص ٥٣. ابن خلدون : المصدر نفسه، ج٤، ص ١٦٩.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

به لولا أن المنية عاجلته^(١). توفي الأمير المنذر وهو يحاصر ابن حفصون في سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م وحمل في نعشه حتى دفن بقرطبة^(٢). لقد عاجلت المنية الأمير المنذر فلم يستطع "لقصر مدته، وتقلص أيامه رتق ما كان انفتق من الملك"^(٣)

أجمع من حضر وفاة الأمير المنذر بقلعة ببشتر من قواد الدولة وولاتها وكبرائها على بيعة أخيه عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) "دون بيعة متقدمة، ولا وصية متبعة" كما يقول ابن حيان^(٤). فتم له الأمر، وسلمت إليه مقاليد الحكم.

ويصف عدد من المؤرخين الوضع الذي كانت عليه الدولة الأموية بالأندلس عشية تولي الأمير عبدالله الحكم، فيقول ابن حزم^(٥): "وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن وصار في كل جهة متغلب" ويقول ابن حيان^(٦): "هذا الأمير عبدالله المنعص دنياه بتوسع فتاق الفتنة، وتضييق نطاق الخطة، وقصور مقدار الجباية عن عرض النفقة". ويقول ابن الأبار^(٧)

"وفي أيامه اضطرت نار الفتنة بالأندلس فتنغص عليه ملكه". وكان ابن الخطيب^(٨) أكثر دقة وتفصيلاً في وصفه لتلك الأوضاع حيث يقول: "وتصيرن إليه الخلافة، وقد تحيف النكت أطرافها، واقتسمها الثوار، وكلب عليها الأشرار، ولم يبق منها إلا الاسم فوق ظهر منبر قرطبة، والقليل من غيرها".

ويقول مؤلف كتاب "أخبار مجموعة"^(٩) "ثم إن الأمور تفاقمت في ولايته وتفاوتت بعد قرب تداركها، وتفرقت أجناده، وعجز عن نصره قواده... وأهلك الجبايات باشتداد شوكة الثوار عليه بكل ناحية... واستولى الفساد في كل وجه".

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٣٢.

(٢) الحميدي: جذوة المقتبس ج١، ص ٤٠-٤١. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص ٢٥.

(٣) مجهول: أخبار مجموعته، ص ١٢٥.

(٤) المقتبس (ط) ص ١.

(٥) رسائل ابن حزم، ج٢، ص ١٩٣.

(٦) المصدر نفسه (ط) ص ٣٩.

(٧) الحلة السيرة، ج١، ص ١٢٠.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٧.

(٩) مجهول: ص ١٢٥.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

إذا فقد أفضت الإمارة إليه وقد تصدعت عصا الجماعة، وفرق الشقاق وحدة البلاد، وانحصر سلطان بني أمية في قرطبة وضواحيها، بفعل الثوار الذين استقلوا بالكور، ونافسوا بني أمية سلطانهم، وفي الجانب الآخر تطاولت أعناق النصارى ومدوا أيديهم إلى بلاد المسلمين. فاستولوا على الثغور القريبة منهم، وأضوا المسلمين فيما يليهم، مستغلين سوء الوضع الداخلي في الدولة الأموية، ويصف ابن عذارى^٧ ذلك بقوله: "وأفضت الخلافة إليه وقد تحيفها النكت، ومزقها الشقاق... وقد نما لأعلى أهل الايمان حزب الشيطان، وصار الناس في ظلماء ليل داج لا إشراق لصباحه، ولا أفول لنجومه، وتألّب على أهل الاسلام أهل الشرك ومن ضاهاهم من أهل الفتنة، الذين جردوا سيوفهم على أهل الاسلام، فصار أهل الاسلام بين قتيل ومحروب ومحصور، يعيش مجهوداً، ويموت هزلاً".

لقد استدعى ذلك الوضع المتأزم من الأمير عبدالله بذل جهود كبيرة جداً في سبيل المحافظة على ملك بني أمية في الأندلس، ثم في سبيل إعادة بسط سلطانهم على أقاليم الأندلس وكورها. كما استدعى ذلك منه أن يكون على حذر شديد من كل من يتعامل معه من أقاربه، وقواده ووزرائه وغيرهم، وإن كان قد بالغ في الحذر كثيراً حتى أفضى به الأمر إلى قتل ولديه محمد والمطرف واحداً بعد الآخر بتهمة الخيانة له، والتآمر عليه^٨. وكذلك فعل ببعض إخوانه^٩.

وفي جانب إعادة بسط سلطان الدولة، رأى الأمير أنه لا بد من الجمع بين القوة والسياسة في التعامل مع أولئك الثوار. فرأى أن أول من يجب البدء به هو كبير أولئك الثوار، وهو عمر بن حفصون، فبعث إليه بطلب بيعته وبيعة من قبله فما كان من ابن حفصون غير السمع والطاعة " فبقي ابن حفصون سامعاً مطيعاً منتهياً عما نهى عنه، واقفاً عند ما أمر به^{١٠} " غير أن تلك المسالمة والموادعة من ابن حفصون لم تكن حقيقية وإنما كان "ينافقه" كما وصفها ابن حيان^{١١}. إذ ما لبث ابن حفصون أن نقض عهده مع الأمير، واستأنف ثورته، وزادت جموعه، وكثر أتباعه، وتحيز إليهم نصارى الذمة، فصار جميعهم إلماً على العرب قائمين

(١) البيان المغرب، ج٢، ص ١٢١.

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٣٢-١٣٥. ابن حيان: المقتبس (ط) ص ٣٩، ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٧٥-١٧٦.

(٣) ابن حيان: المصدر نفسه (ط)، ص ٥٠-٥١.

(٤) ابن عذارى: المصدر نفسه، ج٢، ص ١٢١-١٢٢.

(٥) المصدر نفسه (ط) ص ٥٠.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

بدعوة عمر بن حفصون^(١). ولقد اضرب ابن حفصون بالإمارة الأموية كثيراً، وأخاف قرطبة وأهلها، وضيق عليهم الخناق في حياتهم ومعاشهم بسيطرته على الطرق الشرقية والجنوبية^(٢).

لذلك ركز الأمير عبدالله جهوده في سبيل القضاء على تلك الثورة، وتابع الحملات إليها حتى ألزم ابن حفصون الفرار إلى معقله في قلعة بيشتر^(٣) فتحصن بها^(٤).

لقد أسهم في إضعاف قوة ابن حفصون - رغم كثرة أتباعه، وحصانة موقعه بالضربات المتتالية التي وجهها له الأمير عبدالله إلى جانب تلك الحملات التي كان يشنها عليه باستمرار عدد من قادة القبائل العربية القاطنة في مناطق جنوب الأندلس، والتي خشيت على نفسها من ثورة المولدين التي يتزعمها ابن حفصون^(٥).

وفي مناطق غرب الأندلس اشتدت الثورات وكثرت الغارات على اشيلية من قبل كثير من الخارجين عن سلطان الدولة هناك ونشبت الحروب العصبية البغيضة بين العرب والبربر والمولدين هناك، حتى انفرد حبل الأمن بها " وظهر عجز السلطان وبان وهنه ومقتنة الرعية وقويت أطماع أهل الشر في كل جهة"^(٦).

وقد أسهب ابن حيان^(٧) في الحديث عن تلك الثورات المتتالية، وتلك الفوضى التي عمت غرب الأندلس بأكمله في أيام الأمير عبدالله، والتي تباينت في موقفها من الإمارة الأموية

(١) ابن حيان : المصدر نفسه (ط) ، ص ٥١ .

(٢) محمد أبا الخيل : الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ص ١١٩-١٢٠ .

(٣) بيشتر: Bobastro حصن منيع من أعمال رية، يقع بين مدينتي رندة ومالقة، وبينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً، وهو حصن على صخرة صماء منقطعة (انظر: ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ٥٣ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٧٩).

(٤) عن تلك الحملات وأثارها، انظر : ابن حيان : المقتبس (ط) ص ٩٣، ٩٧، ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٢٩، ص ١٤٢. وحسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٠٥-٣٠٦.

(٥) مثل حملات سوار بن حمدون وسعيد بن جودي زعيما قبائل العرب في كورة البيرة ضد ابن حفصون (انظر عنها: ابن حيان، المقتبس (ط) ص ٢٩-٣١. ابن الخطيب: الاحاطة، ج٤، ص ٢٧٠-٢٧٢، ٢٧٥-٢٧٧. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٣٤-١٣٥).

(٦) ابن حيان: المصدر نفسه (ط) ص ٦٩-٧٠.

(٧) المصدر نفسه (ط) ص ٦٧-٨٥.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

بين رافض لحكم بني أمية معارض لهم^٧، وبين معلى للولاء والطاعة لهم وإن كان ذلك اسماً لا حقيقة^٨.

وقد اضطر الأمير عبدالله - حبال قوة تلك الثورات، وما أحدثته من أضرار بالغة بالعاصمة قرطبة عسكرياً واقتصادياً^٩. أن ينتهج أسلوب المسايسة وتأليف القلوب مع بني حجاج^{١٠} - ليكسب بذلك اعترافهم بالإمارة الأموية وطاعتهم لها^{١١}.

لقد أمضى الأمير عبدالله حكمه كله في حروب متصلة مع أولئك الثوار الذين تكاثروا في كل ناحية من نواحي الأندلس^{١٢}، ولئن كان الأمير عبدالله - رغم جهوده الكبيرة التي بذلها - لم يستطع القضاء التام على أولئك الثوار، ولا نجح في إعادة وحدة الأندلس تحت حكم بني أمية كما كانت في أوائل عهد والده الأمير محمد بن عبدالرحمن. فإنه قد نجح في استعادة هيبة الدولة - ولو جزئياً - وفي تقليص أضرار أقوى الثوار بها مثل ابن حفصون وبني حجاج وابن مروان الجليقي، وثور سرقسطة ونحوهم^{١٣}، وأثبت أنه لا زال لدى بني أمية من القدرة والقوة ما يستطيعون به إعادة بسط سلطانهم، وتثبيت دعائم حكمهم للأندلس، وعقد عزمه على مواصلة استئصال شأفة أولئك الثوار، وقطع كل دعوة في البلاد غير دعوة بني أمية^{١٤}، غير أن الأجل وافاه قبل إتمام تلك المهمة حيث توفي شهر ربيع الأول من عام ٣٠٠هـ/٩١٢م^{١٥}.

(١) ابن خلدون: العبر، ج٢، ص ١٧٤-١٧٥.

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٣٧-١٣٨.

(٣) ابن القوطية: المصدر نفسه، ص ١٣٨-١٣٩.

(٤) بنو حجاج: يرتفع نسبهم إلى قبيلة لحم اليمانية، وكان أشهر زعمائهم ابراهيم بن حجاج اللخمي الذي استولى على اشبيلية أيام الفتنة - هذه - فرأس فيها وظل حتى وفاته في عام ٢٩٨هـ/٩١٠م (انظر: ابن حيان المقتبس (ط ١ ص ١١-١٢) العذري: ترصيع الأخبار، ص ٣٣).

(٥) ابن القوطية: المصدر نفسه، ص ١٣٨. ابن حيان: المصدر نفسه، (ط) ص ٨٢-٨٤.

(٦) حسين مؤنس: معالم تاريخ الأندلس، ص ٣٠٥.

(٧) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٧٥-١٧٦. ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٢٥-١٥٢.

(٨) الضبي: بغية الملتمس، ج١، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط١ (القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م) ص ٣٨.

(٩) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج٢، ص ١٩٣. ابن الأبار: الحلة السيرة، ج١، ص ١٢٠.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

ورغم وجود عدد كبير من أخوته وأبنائه وإخوته^١ الذين كانوا مؤهلين للحكم، إلا أنهم رغبوا عنه جميعاً لما رأوا من كثرة الثورات وتزعزع عرش بني أمية، وتقلص سلطتهم، وانحصار أمرهم، فدفع الحكم إلى عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) الأثير المحبوب لدى جده عبدالله^٢ قال ابن حزم^٣: «وكانت ولايته من المستطرف، لأنه كان في هذا الوقت شاباً، وبالضرة جماعة أكابر من أعمامه وأعمام أبيه، وذوي القُعد في النسب من أهل بيته، فلم يعترض معترض واستمر له الأمر».

لقد خَلَفَ الأمير عبدالله لحفيده عبدالرحمن بن محمد تركة مثقلة بالفتن والثورات حيث كانت الأندلس «جمرة تحترق، وناراً تضطرم، وشقاقاً ونفاقاً» كما يصفها ابن عبد ربه^٤.

وكان على الأمير الجديد أن يواجه كل تلك الفتن، ويتصدى لها. ورغم صغر سنه- إذ كان سنه حين بويح بالحكم لا يتجاوز الثانية والعشرين^٥- فإن الله قد وهبه من القدرات النفسية والذهنية ما استطاع به أن يعيد بسط سلطان بني أمية على الأرض الأندلسية بكاملها من جديد^٦. حيث «كان شهماً صارماً» كما يصفه كل من الحميدي^٧، والذهبي^٨، إلى جانب ما أثر عنه من قدرة كبيرة على «اصطفاء الرجال واستمالة أهوائهم بالمواعيد وبذل الأموال»^٩ كما يذكر ذلك عنه الحجاوي في المسهب^{١٠}.

وقد اتضح أثر تلك الصفات في السياسة التي انتهجها في مواجهة الثوار الذين كان في مقدمتهم عمر بن حفصون الذي ركز الناصر على محاربتة والقضاء على ثورته، فجرد إليه الحملات المتتابعة، واستطاع أن يقضي على كل من كاه يمهده أو يعاضده من بعض المتممرين في جنوب

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص ٢٩.

(٢) ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ١٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٩٤.

(٤) العقد الفريد، ج٤، ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٥) ابن سعيد: المصدر نفسه، ج١، ص ١٨١.

(٦) أحمد بدر: تاريخ الأندلس، ص ٤.

(٧) جذوة المقتبس، ج١، ص ٤٢.

(٨) سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢٦٦.

(٩) ابن سعيد: المصدر نفسه، ج١، ص ١٨٢.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

الأندلس^٧. كما استطاع أن يقطع عنه الإمدادات التي تصل إليه من خارج الأندلس^٨ وبذلك ضيق عليه الخناق حتى كانت نهاية تلك الثورة التي أفضت مضجع الدولة الأموية على يديه في عام ٣١٥هـ/٩٢٨م حين دخلت قوات بني أمية إلى حصن بيشتر«لسبع بقين من ذي القعدة من هذه السنة، وملكها السلطان»^٩.

واتبع الناصر الأسلوب نفسه مع بني حجاج المستولين على إشبيلية وضواحيها ف يغرب الأندلس حتى استطاع في عام ٣٠١هـ/٩١٤م أن يستعيد من يدي بني حجاج تلك الكورة المهمة، بعد حملات عسكرية ناجحة^{١٠}.

بعد ذلك وجه الناصر همه إلى بني مروان الجليقي المستولين على الثغر الأدنى فاستطاع في عام ٣١٨هـ/٩٣٠م أن يقضي على تمردهم ويستولي على بطليوس قاعدة ثورتهم^{١١} ثم انطلق بعد إخضاع الثغر الأدنى لإخضاع الثغر الأوسط وعاصمته طليلطة - مركز المعارضة الدائم - واضطر لقوة المدينة وشدة منعتها، وتأصل الثورة في أهلها أن يبتني أمامها حصناً أسماه "مدينة الفتح"^{١٢}. "وشحنها بالأقوات والعدد، وأنزلها طوائف من نخب الجند أولى الغناء والجلد" كما يقول ابن حيان^{١٣}. ورغم أن أهلها استعانوا بالنصارى عدة مرارة فإنهم "لم يغنوا عنهم فتيلاً، ولا كشفوا عنهم عذاباً، ولا جلبوا إليهم إلا خزيًا وهواناً"^{١٤} وبعد حصار دام سنتين اضطر أهل طليلطة إلى التسليم والرضوخ للطاعة، وتقديم الولاء والعودة إلى الجماعة^{١٥}.

(١) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٧٩.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٦٥.

(٣) ابن حيان: المقتبس (ش) ص ٢١٣.

(٤) ابن حيان: المصدر نفسه، (ش) ص ٦٩-٨٤. ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٧٩.

(٥) ابن حيان: المصدر نفسه (ش) ص ٢١٧-٢٢٢، ويجعل مؤلف كتاب «تاريخ عبدالرحمن الناصر» سقوط المدينة في عام ٣١٧هـ/٩٢٩م انظر: مجهول: تاريخ عبدالرحمن الناصر، تقديم: عدنان آل طعمه، ط١، (دمشق، دار سعد الدين، ١٩٩٢م)، ص ٥٨-٥٩.

(٦) ابن حيان: المقتبس (ش) ص ٢٨٣.

(٧) المصدر نفسه (ش) ص ٢٨٣.

(٨) ابن عذارى: المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٠٦.

(٩) ابن حيان: المصدر نفسه (ش) ص ٣١٧-٣٢٢.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

وعن طريق المسابسة والتأليف استطاع الناصر أن يستعيد الثغر الأعلى كاملاً^{١٧}، كما استعاد مناطق أخرى في شرقي الأندلس بالأسلوب نفسه^{١٨}.

بفضل الله تعالى ثم بفضل تلك الحملات العسكرية المتتالية وذلك الأسلوب المتميز في تأليف القلوب ، وفي الوفاء بالعهود والمواثيق، وحفظ مكانة ومنزلة الخصوم وإن غلبوا،^{١٩} استطاع عبدالرحمن الناصر أن يبسط سلطان بني أمية من جديد على بلاد الأندلس " فأحمد نيرانها ، وسكن زلازلها، وافتتحها عوداً كما افتتحها بدءاً سميها عبدالرحمن بن معاوية - رحمه الله^{٢٠} - ". فلم يبق عليه في الأندلس مخالف ولا نازعه منازع، ودخل الناس أفواجا في طاعته، ورغبوا في مسالمة^{٢١}.

ولم يكتف الخليفة عبدالرحمن الناصر بإعادة بسط سلطان الدولة الأموية على أرجاء الأندلس، وخضوعها لسلطانه وحكمه، بل مدَّ حدود دولته إلى ما وراء البحر، فخضعت له بلاد العدو المغربية بعد حروب وحملات مكثفة مع حكامها وولاتها^{٢٢} .

(١) أحمد بدر : تاريخ الأندلس في القرن الرابع، ص ١٧-١٨ .

(٢) مجهول: المصدر نفسه، ص ٤٧-٤٨ . ابن حيان: المصدر نفسه (ش) ص ٢٧١ . العذري: ترصيع الأخبار، ص ١٣-١٤ .

(٣) عن وفاء الخليفة عبدالرحمن الناصر بما يبرمه من عقود ووفائه لمن ينزل مصالماً له، ثم حفظه لمكانة أولئك الثوار حين يسلمون إليه. انظر: ابن حيان: المقتبس (ش) ص ٢٧١ ، ٣٢٢ ، ٣٩٠ ، ٤٠٤-٤٠٥ وغيرها.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٤٥٣ .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢ ، ص ٢٩ .

(٦) ابن حيان: المقتبس (ش) ص ٢٠-٢٩ ، ٢٥٠-٢٥٤ .. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس (الرباط: دار المنصور للطباعة والنشر ، ١٩٧٢م) ص ٨٩-١٠٢ . وسوف يرد الحديث عن شيء من ذلك وآثاره التجارية على الدولة الأموية في الفصل الخامس من البحث إن شاء الله.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

وبعد أن بسط عبدالرحمن الناصر سلطانه على معظم أرجاء الأندلس، وأصبحت تدين له بالولاء، وتقر له بالتبعية اتخذ لنفسه مسمى "أمير المؤمنين" ^(١) و"تلقب بالناصر لدين الله" ^(٢) وكان ذلك في سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م ^(٣) وهو أول من تسمى

بذلك من حكام بني أمية في الأندلس ^(٤). إذ اكتفى من سبقه منهم بلقب "الأمير" ^(٥).

إلى جانب ما سبق كان أمير المؤمنين عبدالرحمن الناصر "كثير الجهاد والغزو إلى دار الحرب" ^(٦). حيث غزا بنفسه بلاد الروم إثنى عشرة غزوة ^(٧) فضلاً عما قاده أبناؤه وقواده من حملات جهادية إلى تلك الممالك ^(٨). مما كان له أبعد الأثر في صد عادية أولئك النصارى عن بلاد الإسلام وثورته، فضلاً عن إعلان بعضهم التبعية له "فوضع عليهم الخراج، ودانت له ملوكها" ^(٩).

(١) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج١، ص ١٩٨.

(٢) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج٢، ص ١٩٤.

(٣) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج٢، ص ١٩٤. ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ١٨٢. ويؤكد أن ذلك كان في أواخر السنة السابعة عشرة من ولايته بينما يقول ابن الأبار أن ذلك كان بعد سنتين من خلافته "الحلة السيرة، ج١، ص ١٩٨" ويجعل ابن حيان ذلك في سنة ٣١٦هـ (المقتبس (ش) ص ٢٤١. وكذلك ابن الخطيب (أعمال الأعلام ج٢، ص ٢٩)، ويوافقهما على ذلك صاحب كتاب الحلل الموشيه "مجهول: الحلل المشية في ذكر الأخبار المركشية، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامه ط١ (الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ٣٠-٣١.

(٤) ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ١٨١-١٨٢، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص ٢٩. ابن خلدون: العبر، ج٢، ص ١٧٦.

(٥) الحميدي: جذوة المقتبس، ج١، ص ٤٢. ابن سعيد: المغرب، ج١، ص ٤٢.

(٦) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٧٧.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢٦٧.

(٨) ابن حيان: المقتبس (ش) ص ١٢٧-١٢٨، ١٥٥-١٥٧، ١٨٦-١٨٨. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ١٧٥-١٧٩، ١٨٥-١٨٩.

(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢٦٧.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

وفي شهر رمضان من سنة خمسين وثلاثمائة توفي الخليفة عبدالرحمن الناصر^٧ " أعظم ما كان سلطانة، وأعز ما كان الاسلام بملكه"^٨ حيث كانت الدولة الأموية تقف في قمة الهرم بين الدول المعاصرة لها وقد بلغت من القوة والنفوذ حداً بعيداً ، فالوضع الداخلي في غاية الاستقرار إذ " صار جميع أقطار الأندلس في طاعته"^٩ والتقدم العمراني والعلمي قد بلغ غاية كبيرة بشجيعه للعلم وطلابه^{١٠} ، وبما أنشأه من مباني وقصور ومدن كان أشهرها مدينة الزهراء^{١١} التي اتخذها عاصمة له.

ونمت العلاقات الخارجية وتطورت بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ هذه الدولة، فهادت الناصر ملوك النصارى في شرق أوروبا وغربها وشمالها^{١٢} . وهاداه ملوك بلاد المغرب^{١٣} ، فضلاً عن تبعه ودان له بالولاء والطاعة منهم^{١٤} .

ثم تولى بعد الخليفة عبدالرحمن الناصر الحكم ابنه الخليفة الحكم المستنصر (٣٠٠-٣٦٦هـ - ٩٦١-٩٧٧م)^{١٥} الذي ورث عن أبيه دولة ثابتة الدعائم راسخة البنيان، فكانت سياسته امتداداً لسياسة والده، مما جعل الجبهة الداخلية تسير على ما كانت عليه من قبل في

(١) ابن حزم : رسائل ابن حزم ، ج-٢، ص ١٩٤ .

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٨٥ .

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ق ١، ص ٤٢ .

(٤) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج١، ص ١٩٩-٢٠٠ .

(٥) الزهراء : بناها الخليفة الناصر بدءاً من عام ٣٢٥هـ/٩٣٦م في سفح جبل العروس على بعد خمسة أميال إلى الغرب من قرطبة، واتخذها مقراً للخلافة ، ومسكناً لخاصته ووزرائه، وجلب إليها الرخام من مختلف مدن الأندلس ومن القسطنطينية والمغرب. كذلك أنشأ بها مسجداً جامعاً ودوراً لصناعة الآلات الحربية إلى جانب تصنيع أدوات الزينة والحلي . وقد توفي الناصر قبل أن يتم بناءها فأتمه الحكم المستنصر من بعده، وظلت الزهراء قائمة إلى أيام الفتننة في أواخر عصر الخلافة حيث هاجمها البربر ودمروها تماماً حوالي عام ٤٠٠هـ-١٠١٠م انظر : المقرئ: نفع الطيب ج٢، ص ١٠٠-١١٢ . السيد عبدالعزيز سالم: في تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس (الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥م)، ص ٤٥-٥٠ .

(٦) المقرئ: المصدر نفسه، ج١، ص ٣٤٨-٣٥٥ .

(٧) ابن حيان: المصدر نفسه (ش) ص ٢٦٧-٢٦٩ .

(٨) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٠٠-١٠٢ .

(٩) ابن حزم: المصدر نفسه ، ج٢، ص ١٩٤ . الحميدي: المصدر نفسه، ق ١، ص ٤٦ .

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

هدوء وسكينة، دون حدوث ثوراتٍ ولا فتنٍ ولا قلاقل، يعبر عن ذلك ابن الخطيب^(١) بقوله: " وفي أيّامه ، سكنت الفتنة لتوطيد أبيه الدولة".

وكان الخليفة الحكم المستنصر بالله " حسن السيرة فاضلاً عادلاً شغوفاً بالعلوم، حريصاً على اقتناء دواوينها، يبعث فيها الى الأقطار والبلدان" كما يصفه ابن الأبار^(٢). ويصفه الحميدي^(٣) بأنه كان " محباً - للكتب - مكرماً لأهلها ، وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله" ونتيجة لهذا فقد صرف الحكم المستنصر بالله جل همه إلى بناء نهضة علمية بارزة ، كانت السمة التالية على عهده، حتى اعتبر رائداً للنهضة العلمية في عصر الخلافة^(٤).

وإلى جانب ذلك أهتم الخليفة الحكم المستنصر بتأمين حدود بلاده والمحافظة عليها، وصد إعتداءات النصارى، ومنعهم من الأضرار بالمسلمين في مناطق الثغور إذ رأى الجلافة في وفاة الخليفة عبدالرحمن الناصر فرصة للاعتداء على الثغور المحاذية لهم، والاستيلاء عليها ، فقاموا بمهاجمتها ، غير أنهم وجدوا الحكم منتهياً لهم حيث بادر بالخروج اليهم " بنفسه واستباحها ، وقل ، فبادروا إلى عقد السلم معه، وانقبضوا عما كانوا فيه"^(٥).

وحذا حذو الجلافة معظم حكام النصارى الشماليين الذين أكدت لهم حملات الحكم المستنصر المتكررة إلى بلادهم ، أنه حريص على حدود بلاد منتهية لتحركاتهم، وأن إطلاق أسير واحد من أيدي النصارى هو " أفضل ما يسر به أمير المؤمنين ويبتهج به، ويكافىء عليه"^(٦). لذلك لموا الطاعة وقدمت رسلهم إلى بلاد الخليفة تعلن الولاء والتبعية له^(٧). بل وتطلب مساعدته في بعض قضاياها الداخلية^(٨).

(١) أعمال الأعلام، ج٤، ص ٤١.

(٢) الحلة السيرة، ج١، ص ٤١.

(٣) جذوة المقتبس، ق١، ص ٤٣.

(٤) سعد البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس ، ط١، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الاسلامي، بجامعة أم القرى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٧٢.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٨٥.

(٦) ابن حيان: المقتبس ، تحقيق : عبدالرحمن الحجي (بيروت، دار الثقافة ، ١٩٨٣م)، ص ٢١.

(٧) ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ج٢، ص ٢٢.

(٨) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٣٥. ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٨٦.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

كما استطاع الحكم المستنصر المحافظة على ولاء عدد من ولاة وحكام المغرب الأقصى لبني أمية، ولم يتوان في بعث الحملات العسكرية المتتالية إلى مواقع آخر في بلاد المغرب لطرد قوات العبيديين^(١) منها وضمها إلى سلطان بني أمية، وقد تحقق بذلك بسط نفوذه على بلاد المغرب الأقصى كاملة^(٢).

ورغم ما حظيت به الأندلس في عهد الحكم المستنصر من هدوء واستقرار داخلي، وما حققته من تقدم كبير في توثيق العلاقات الخارجية للدولة مع القوى المعاصرة لها، فإن عهد الحكم قد شهد تطوراً سياسياً داخلياً سيكون له أثر كبير جداً في مستقبل البلاد عموماً. وفي تاريخ الدولة الأموية خصوصاً. وهو ذلك التنافس الشديد الذي قام بين بعض مراكز القوى في الدولة في أواخر عهد الحكم المستنصر وكان ميدانه قصر الخليفة نفسه، وسببه تولية الخليفة الحكم المستنصر ولاية العهد لإبنة القاصر هشام المؤيد (٣٣٦-٤٠٣هـ/٩٧٦-١٠١٢م) الذي لم يتجاوز سن الحادية عشرة من عمره^(٣)، مما فتح الباب بين كبار رجال الدولة للتنافس على الإنفراد وتسيير مقالد الأمور، والسيطرة على شؤون الدولة، وتصريفها باسم الخليفة القاصر.

وكان قطبا ذلك الصراع الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي^(٤) حاجب الخليفة الحكم المستنصر ومحمد بن أبي عامر^(٥)، قائد الشرطة وقاضي القضاة في غرب

(١) سوف يرد الحديث عنهم وعن علاقاتهم بالأندلس في الفصل الخامس إن شاء الله.

(٢) عن تلك الحملات انظر: ابن حيان: المصدر نفسه (ح)، ص ٣٨-٣٥٦، ٨٩-٩٦، ١٠٢، ١٠٨-١١٨، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٧-٩٨، أحمد بدر، الأندلس في القرن الرابع، ص ٩٢.

(٣) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج ٢، ص ١٩٦. الحميدي: جذوة المقتبس، ق ١، ص ٤٧، المراكشي: المعجب، ص ٤٥.

(٤) أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز عن عبدالله بن كسيلة، الحاجب المصحفي، أصله بربري من شرق الأندلس، كان في أيام الخليفة الناصر كاتباً، ثم رفاه الحكم المستنصر إلى الوزارة ثم عينه حاجباً له، وظل كذلك، حتى تولى هشام المؤيد، فأقر في بداية الأمر في الحجابة وتصرف في الأمور عام واحد، ثم نكبه المنصور بن أبي عامر حينما سيطر على أمور الدولة وأودعه السجن، وظل به حتى قتله ابن أبي عامر في سجنه سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م. انظر: الحميدي: جذوة المقتبس، ق ١، ص ٢٨٩. ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٢٥٧-٢٦٧. الفتح ابن خاقان: مطمع الأنفس ومسرح التأنس، تحقيق: محمد علي شوابكه، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٥٣-١٦٦).

(٥) محمد بن عبدالله بن أبي عامر المعافري. الملقب بالحاجب المنصور، دخل جده عبد الملك الأندلسي في أوائل الفتح الإسلامي، وسكن الجزيرة الخضراء في جنوبي الأندلس، وبها ولد محمد هذا ثم رحل إلى قرطبة فدرس بها على كبار العلماء في حينها، وكان في أول أمره كاتباً للعرائض على باب الخليفة، ثم تقرب من الخليفة الحكم حتى أصبح وكيلاً لصبح أم هشام المؤيد للنظر في أموالها وضياعها، ثم ولاة الحكم عدة مناصب في الدولة، حتى إذا توفي الحكم وولي هشام المؤيد استولى ابن أبي عامر على الحجابة

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

الأندلس^١.

لقد ظل ذلك التنافس والصراع بين أولئك المتنفيين يسير داخل قصر الخلافة في سرية وخفاء طوال حياة الخليفة الحكم، حتى إذا توفي الخليفة في شهر صفر من سنة ست وستين وثلثمائة للهجرة^٢. وبويع لولي عهده هشام بن الحكم - الذي تلقب بالمويد بالله^٣ - " فلم يزل متغلباً عليه ، لا يظهر ولا ينفذ له أمر^٤ " انفجر ذلك الصراع، وظهر علناً ، حتى أودي بحياة عدد من كبار رجالات الدولة وقادتها ، كان في مقدمتهم الحاجب جعفر المصحفي الذي قتله ابن أبي عامر في سجنه سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م^٥ وانفرد ابن أبي عامر بمقالد الأمور، وسلمت له السلطة مذعنة.

وكان ابن أبي عامر رجل دهاء وفطنة، بعيد المهمة، شديد الحرص^٦، فما إن تخلص من المصحفي ووصل إلى سدة الحكم حتى ركز جهوده في ثلاثة محاور رئيسة رأى أنها هي التي ستمكن له، وأول تلك المحاور: التخلص من رجال الحكم المستنصر، الذين عرفوا باسم "

وصرّف أمور الدولة ، وأصبح الحكم في يده إلى أن توفي في عام ٣٩٢هـ/١٠٠١م (انظر: الفتح ابن خاقان، مطمع الأنفس ص ٣٨٨-٣٩٧. ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق ٤، م ١، تحقيق: إحسان عباس، ط ١ (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م، ص ٥٦-٥٧. ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٢٦٨-٢٧٧. ابن سعيد: المغرب، ج ١، ص ١٩٩-٢٠٣.

(١) ابن حيان: المقتبس (٤) ص ٤١. ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٢) ابن الفرزي: تاريخ العلماء، ج ١، ص ١٥. الضبي: بغية الملتمس، ج ١، ص ٤٢.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٤٣.

(٤) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج ٢، ص ١٩٦.

(٥) ابن بسام: الذخيرة ، ق ٤، م ١، ص ٦٦.

(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ١٨٩.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

الصنائع الحكميين^(٧) ليأمن من بطشهم ، وينجو من مؤامراتهم^(٨)، واستبدلهم برجال اصطنعهم لنفسه^(٩) " فنسخ رجال الدولة برجاله^(١٠) " .

والثاني: محاولة استمالة الجند إليه حيث " أرخص لهم العطاء"^(١١) ثم استكثر من البربر الذين استقدمهم من بلاد المغرب، فأصبحوا يكونوا صلب جيشه، وكبار قاداته^(١٢) . وكان كثير البذل للجند، حتى قال ابن سعيد^(١٣) واصفاً تلك السياسة لابن أبي عامر: "وقد ملك الجند بما رأوه من حسن كرمه". ويقول: ابن بسام^(١٤) عن ذلك : " فخلص له الجند، واستهلكوا في طاعته لما رأوا من كرمه". وبذلك ضمن الجيش إلى جانبه.

والمحور الثالث: التقرب إلى الرعية وتمثل ذلك في أمرين : أولهما: تقريبه للعلماء وإعلائه مكانتهم يقول ابن خلدون^(١٥) : " وأعلى مراتب العلماء وقمع أهل البدع" ويقول المراكشي^(١٦) : " وكان له مجلس في كل أسبوع يجتمع فيه أهل العلم للمناظرة بحضرته ما كان مقيماً بقرطبة". إلى جانب ما أثر عنه من السيرة الحسنة، والعدل ، إذ كان " متسماً بصحة باطنه، واعترافه بذنبيه، وخوفه من ربه، وكثرة جهاده، وإذا ذكر الله ذكّر، وإذا خوف من عقابه ازدجر"^(١٧) !

() وهم كبار رجال الدولة من القادة والوزراء الذين خدموا الحكم المستنصر (أحمد بدر: تاريخ الأندلس، ص (٣٠).

() أحمد بدر: تاريخ الأندلس، ص ٣٠.

() ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص ٥٩-٦٠.

() ابن سعيد : المغرب، ج١، ص ٢٠٠.

() ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٨٩.

() المقرئ: نفح الطيب، ج١، ص ٣٨٠-٨٣١.

() المغرب: ج١، ص ٢٠٠.

() الذخيرة : ق٤، م١، ص ٦٢.

() العبر، ج٤، ص ١٨٩.

() المعجب، ص ٦٠.

() ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٨٩.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

والأمر الثاني: كثرة جهاده ، فقد كان كثير الغزو والجهاد إلى بلاد النصارى، حتى بلغت غزواته في تلك البلاد أكثر من خمسين غزوة^٧ "لم ينكسر له راية، ولا فل له جيش"^٨ وكان لغزواته تلك أبعث الأثر في كسر شوكة النصارى وإلزامهم الطاعة والولاء يقول عن ذلك ابن خاقان^٩ :

وبعد كل غزوة كان ابن أبي عامر يعود مثقلاً بالسبي والغنائم^{١٠} وبتلك الانتصارات وبذلك السبي والغنائم "استطاع محمد .. استمالة قلوب العامة والخاصة، وتعرفوا فيه يُمن النقيبة ، فبعد صيته" كما يقول ابن عذارى^{١١} .

بكل ذلك استطاع الحاجب المنصور أن ينفرد بالخليفة هشام المؤيد وأن يحجر عليه ، ويقصيه عن أمور الحكم والدولة حتى لم يبق لهشام المؤيد من أمور الدولة والحكم غير الاسم خاصة^{١٢} "واستبد وانفرد ، وأنس إليه من الطاعة ما تفرد وشرده، وانتظمت له الأندلس بالعدوه"^{١٣} .

ومع أن أبي عامر قد أصبح هو الحاكم الفعلي للأندلس، مصدر الأمر منه، ومنتهاه إليه في كل شؤون البلاد والعباد هناك، فإنه " لم يخلع اسم الحجابة، ولم يدع السمع لخليفته والاجابة"^{١٤} بل ظل مكتفياً بلقب الحاجب، تاركاً لقب الخلافة واسمها لمحجوبه هشام المؤيد. وظل ابن أبي عامر متصرفاً في أمور الدولة " وأشاع أن السلطان فوّض إليه النظر في

() ابن الأبار: الحلة السبراء، ج١، ص ٢٦٩. وقد أورد العذري قائمة بغزوات ابن أبي عامر إلى ممالك النصارى (ترصيع الأخبار، ص ٧٤-٧٩).

() ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ١٩٠.

() مطمح الأنفس ، ص ٣٩٠.

() ابن بسام : الذخيرة ، ق٤، م١، ص ٦٢.

() البيان المغرب، ج٢ ، ص ٢٦٦.

() ابن الأبار: الحلة السبراء، ج١، ص ٢٦٩.

() الفتح ابن خاقان: مطمح الأنفس، ص ٣٨٨.

() ابن خاقان: مطمح الأنفس، ص ٣٨٩.

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

أمر الملك ، وتخلّى بعبادة ربه^{١٠} ولا زال على تلك الحال إلى أن وافاه أجله المحتوم أثناء إحدى غزواته إلى الممالك النصرانية في الشمال وذلك في صفر من سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م^{١١}.

ولى الحجابة بعده ابنه عبدالملك الذي تلقب بالمظفر^{١٢} " فقام بالدولة مقام أبيه، وأغنى في غزو العدو"^{١٣} ، وكان عبدالملك المظفر خير وريث لحكم أبيه ، فانتهج نفس السياسة تجاه الخليفة هشام المؤيد ، من الحجر عليه والاستبداد بالأمر دونه^{١٤}. ومع ذلك " أحبه الناس ، وأنصبّ التأييد والاقبال عليه انصباباً لم يسمع بمثله ، وسكن الناس منه إلى عفاف ونزاهة"^{١٥}.

وشهدت أيام المظفر هدوءً وسكينة واستقراراً كبيراً في الأندلس عامة حتى كانت " أيامه أعياد في الخصب والأمان" كما قال المراكشي^{١٦}. ومال الناس في أيامه إلى حياة الرغد والرفاه " وأخذوا في المكاسب والزينة من المراكب والملابس والقيان^{١٧} فكان بذلك " أسعد مولود" على أهل الأندلس كما حكى ذلك ابن حيان^{١٨}. وبلغت الأندلس في مدته " إلى نهاية الهدوء والرفاهية"^{١٩}.

ظلت الأندلس في سعد واستقرار مع الحاجب عبدالملك المظفر بن المنصور حتى وافاه الأجل في بداية عام ٣٩٩هـ/١٠٠٨م^{٢٠} فتولى الحجابة بعده أخوه عبدالرحمن^{٢١} الذي تلقب

() ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ج٢ ، ص ٦٢.

() ابن بسام: الذخيرة ، ق٤ ، م١ ، ص ٧٣.

() المراكشي : المعجب، ص ٦٢-٦٣.

() ابن الأبار: الحلة السراء ، ج١ ، ص ٢٦٩-٢٧٠.

() ابن خلدون: العبر، ج٤ ، ص ١٩٠.

() ابن سعيد: المغرب، ج١ ، ص ٢١٢.

() المعجب، ص ٩٣.

() ابن بسام : الذخيرة ، ق٤ ، م١ ، ص ٧٨.

() نقلاً عن ابن الأبار: الحلة السراء، ج١ ، ص ٢٧٠.

() ابن سعيد: المغرب، ج١ ، ص ٢١٣.

() ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م١ ، ص ٨٦.

()^٢ وقد غلب عليه لقب شيخول الذي كانت أمه تدعوه به، وهو نسبة إلى جده لامه ملك بناره الذي تطلق عليه المصادر الإسلامية اسم " شانجه" وشيخول تصغير له. (أحمد بدر: تاريخ الأندلس، ص ٤٨).

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

بلقب "الناصر"^١ وكان عبدالرحمن كما وصفه ابن سعيد^٢ "نحساً على نفسه وعلى أهل الأندلس ، فمنه انفتح باب الفتنة العظمى وفسد الناموس".

وذلك أن عبدالرحمن شنجول لم يكتف بما سار عليه والده ثم أخوه من قبل، حيث اكتفيا بلقب الحجابة ولم يتطلعا إلى الخلافة والإمامة، بينما تطلع عبدالرحمن إليها، ورغب نفسه في التحلي بها، مستغلاً ضعف هشام المؤيد فطالبه بأن يوليه العهد، ويكتب له بذلك، فما كان من هشام المؤيد غير الاستجابة لذلك المطلوب^٣.

لقد كان لهذا الحدث أثر عظيم في تاريخ الأندلس عامة ، وفي تاريخ بني أمية خاصة، حيث كان بداية النهاية لتصرف بني عامر في أمور الأندلس ، كما كان بداية النهاية للدولة الأموية برمتها . يقول بان الأبار^٤ " هو الذي جرَّ افتراق الجماعة، وجر أعلى خلعان الطاعة، وعلى رجله كان الفساد العام" حيث لم يقبل بنو أمية بذلك التطاول من شنجول إلى الخلافة، وعدوا ذلك اغتصاباً للخلافة منهم ، من قبل من ليس من أهلها^٥.

(١) المراكشي : المعجب ، ص ٦٣ .

(٢) المغرب: ج١، ص ٢١٣ .

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص ٣٨-٤٠ . ابن الخطيب: أعمال الاعلام، ج٢، ص ٩٠ .

(٤) الحلة السبراء، ج١، ص ٢٧٠ .

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص ٤٢ .

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

بذلك انفتح باب الشرقي الأندلسي حيث قام من بني أمية محمد بن هشام بن عبد الجبار^(١) بقرطبة فاستولى عليها ودخل إلى الزهراء^(٢) مقر حكم بني عامر ، فيهدمها ودمرها تدير بمن معه من جموع العامة وغيرهم^(٣). مستغلاً غياب عبدالرحمن شيخول في مناطق شمال الأندلس، الذي ما لبث حيث بلغه بناء ثورة المهدي أن عاد مسرعاً إلى قرطبة، فأسلمته جيوشه - لسوء سيرته^(٤) - فقتل وصلب^(٥).

بمقتل عبدالرحمن شيخول في جمادى الآخرة من سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م دخلت الأندلس فيما عرف بعصر الفتنة^(٦) الذي سوف يستمر إلى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م والذي تعاقب الحكم فيه عدد من أفراد البيت الأموي^(٧)، وشاركهم في إداء الخلافة والوثوب إليها ثلاثة من بني أحمد الحسنيين^(٨). وكانوا جميعاً خلفاء فتنة لم ينفذ لهم قرار، ولا استجيب لهم أمر، واقترب الناس إلى

(١) محمد هشام بن عبد الجبار بن عبدالرحمن الناصر، أعلن في سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م خلعه لهشام المؤيد وعدم اعترافه بولاية عبدالرحمن شيخول. وتسمى بالمهدي وظل حاكماً ستة عشر شهراً فقط. انظر الحميدي: المقتبس، ق ١، ص ٤٧-٤٩)

(٢) انظر عنها الفصل الرابع من البحث.

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ق ١، ص ٤٨.

(٤) ابن سعيد: المغرب، ج ١، ص ٢١٣.

(٥) ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج ٢، ص ١٩٦.

(٦) المراكشي: المعجب، ص ٦٥.

(٧) وهم محمد بن هشام (المهدي) وسليمان بن الحكم المستعين، وعبدالرحمن بن هشام المستظهر، ومحمد بن عبدالرحمن المستكفي، وهشام بن محمد المعتد الذي كان آخر خلفاء بني أمية. انظر: ابن حزم رسائل ابن حزم، ج ٢، ص ١٩٦-٢٠٤. الحميدي جذوة المقتبس، ق ١ ص ٤٧-٦١. الضبي: بغية الملتمس ج ١، ص ٤٤-٥٨).

(٨) بنسبون إلى ادريس بن ادريس بن عبدالله ثاني حكام دولة الأدارسة بالمغرب الذين يرفعون نسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان علي بن حمود وأخوه القاسم ضمن جيش سليمان المستعين التائر على محمد المهدي، وقد ولاهما حكم الجزيرة الخضراء، بالأندلس وسبقه وطنجه من بلاد المغرب، ثم ثار عليه علي بن حمود وزعم ان هشام المؤيد قد ولاه العهد وطلب منه نصره، فانضم إليه كثير من العبيد وجموع من البربر فزحف إلى قرطبة، ودخلها في ٤٠٨هـ/١٠١٧م وتولى الحكم بها وأعلن نفسه خليفة للمسلمين وظل يحكم قرطبة عامين تقريباً حتى قتله ببعض عبيده، فتولى الحكم بعد أخوه القاسم بن حمود إلى عام ٤١٣هـ/١٠٢٢م. حيث ثار عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود فولى قرطبة وتلقب بالخلافة وكل ذلك إلى عام ٤١٧هـ/١٠٢٦م حيث اتفق رأي أهل قرطبة على إعادة الأمر

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي

أحزاب وشيع، وكثرت الحروب. وبلغ القتلى المئات ، ودمرت المنشآت^٧ . وعلى أيامهم محيت رسوم الدولة وإن بقيت اسمائها قائمة، يقول ابن حيان^٨ واصفاً حال أولئك الحكام ومن عاضدهم من وزراء وقادة : "وهذا زخرف من التسطير وضع على غير حاصل، ومراتب نصبت لغير طائل، تنافسها طالبوها يومئذ بالأمل فلم يجلو منها بنائل ، ولا قبضوا منها مرتزقاً ، ولا تألوا بها مرتفعاً ، وغرهم بارق الطمع وسط بلد محصور، وعمل مغصوب ، وخراب مستولٍ مع سلطان فقير، لا يقع بيده درهم ، إلا من صبابة مستغل جوف المدينة، أو نهب مغلول ممن تقلقل عنها .. ويتطرق الى ما يقبح من ظلم رعيته".

تلك كانت حال معظم خلفاء عصر الفتنة. أما بالنسبة لحالة البلاد التي كانت تحت حكم بني أمية فيعبر عنه ابن الخطيب^٩ بقوله " وذهب أهل الأندلس من الانشاق والانعاب والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار". إذ تشعبت الأندلس بعد ذلك إلى طوائف وفرق متعددة.

وظل الحال على ذلك إلى أن اتفق رأي الجماعة بقرطبة على "محو رسم الخلافة الأموية، لعدم الصلوح في أهل بينها، وسوء الجوار وفناء الأموال^{١٠} ..". وكان ذلك في عام ٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠ م " وانقطعت الدولة الأموية من الأرض، وانتثر سلك الخلافة بالمغرب، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائق، وانتزى الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات واقتسموا خطتها، وتغلب بعض على بعض"^{١١} .

إلى بني أمية فوقع اختيارهم على عبدالرحمن بن هشام. المستظهر (انظر: ابن حزم: رسائل ابن حزم ج٢، ص ١٩٩-٢٠١. المراكشي: المعجب، ص ٦٧-٨٣).

() ابن الأثير : الكامل ، ج٧، ص ٢٤٨-٢٤٩. ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص ١١١-١١٢. المقرئ: نفع الطيب، ج٢، ص ٢٨-٣٥.

() نقلاً عن : ابن بسام : الذخيرة، ق ١، م ١، ص ٥٢.

() المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٤.

() ابن الخطيب : المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٧.

() المقرئ: المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢٠. وعن تفصيل هذه الأحداث وأسباب سقوط الدولة الأموية، انظر: يوسف حواله: بنو عباد في أشبيلية ٤١٤-٤٨٤ هـ/ ١٠٢٣-١٠٩١ م، دراسة سياسية وحضارية، ط١، جدة، مطابع شركة دار العلم، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٩ م، ص ٤٢-٥٩).

الأوضاع السياسية للأندلس خلال العصر الأموي